وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

السفارات خلال عهد الدولة الأموية في الأندلس (138-422هـ/755-1031 م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتان:

- قطاية لويزة
- صالحي رشيدة

إشراف الدكتور:

- حمزة عبد الصمد

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

السفارات خلال عهد الدولة الأموية في الأندلس (138-422هـ/755-1031 م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتان:

- قطاية لويزة

- صالحي رشيدة

إشراف الدكتور:

- حمزة عبد الصمد

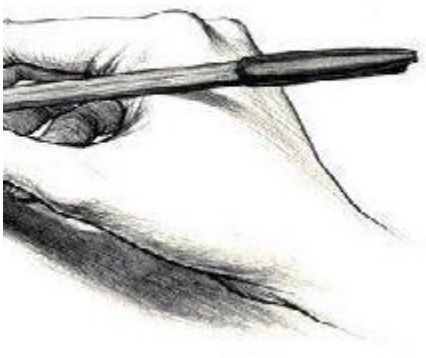
لجنة المناقشة:

الأستاذ	الصنف	الجامعة
أ- العمري عبد النور	رئيس لجنة	المدية
أ- حاج كولة عبد العزيز	مناقشا	المدية
أ- حمزة عبد الصمد	مشرفا ومقررا	المدية

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م



شكر و عرفان



الحمد لله أهل الحمد والثناء والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبي الهدى ومصباح الدجى ورسول العدل والمبعوث لكافة الخلق ﷺ .

نتقدم أوّلا بالشكر للمولى جلّ وعلا على أن منّا علينا باختيار هذا الموضوع، فيسّر لنا الأسباب وعبّد لنا الدروب، و على ما منحنا من قدرة على تخطي الصّعاب وتذليل العقبات فله الحمد كل الحمد من قبل ومن بعد.

وإنه لمن دواعي سرورنا أن نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا الفاضل عبد الصمد حمزة، الذي تفضل علينا بالإشراف، حيث قدّم لنا كل النّصح والإرشاد طيلة فترة إعداد هذا العمل، فله منّا كل الشكر والتقدير على إرشاداته الوجيهة ونصائحه المفيدة.

كما نتقدم بالشكر للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة لتكبّدهم عناء دراسة ومناقشة هذا البحث وتقييمه.

ومن باب العرفان والتقدير والاعتراف بالفضل، فكم يسعدنا أن نتقدم بشكرنا وعرفاننا للأستاذة المحترمين: بوعقادة عبد القادر، لخضر بولطيف، عمرون بلال، بخيتي امحْمد، بغداد سحيري والأستاذ الوجدي خلف الله الذين كانوا عونا لنا ولم يبخلوا علينا بتقديم نصائحهم القيّمة فلهم منّا فائق الشكر والتقدير.

ونتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الذي أمدنا بيد العون وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

إهـــــــــداء

إلى من طفقت ورأيت نور الشمس والقمر بعينيها، إلى التي من رضعت حليبها وترعرعت في حضنها إلى علّة كياني ورفيقة الأحزان، إليك أنت يا أمي أهدي ثمرة جهدي، إلى أمي الغالية" **زهرة زقاي**".

إلى من تجرع مرارة الشقاء،إلى من شق الظلمات لأجلي،إلى من طبع في نفسي روح الوفاء ،وغرس في قلبي صدق الإخاء، إلى من علّمني أن الكفاح سبيل البقاء ، إلى الذي فتح الطريق أمامي للنجاح،

أهدي عملي هذا المتواضع إلى أبي الغالي" **محجوب قطاية**".

أتمنى لهما طول العمر، وأدعو من الله أن يحفظهما لي إن شاء الله.

كما أهدي عملي كذلك إلى عمودي البيت وذروتا سنامه،

إلى عينيا إلى فرحتي التي لا تزول، إلى الغوالي :" **مُحَمَّد، فريد** "

وإلى خالي العزيز"**أحمد زقاي**"

أهدي عملي إلى من يسري دمهم في عروقي،ومن تربّعوا علي عرش قلبي وتنعّموا بفائق حبي أخواتي:

"خيرة والكتكوتة الصغيرة ملك"

وإلى كل من يحمل لقبَي:**قطاية، زقاي** "

كما أهدي عملي إلى من تحمّلت معي الصعاب صديقة الغالية" **صالحي رشيدة**".

وإلى أسيرات حبي وحبيبات قلبي ورفيقات دربي، إلى الشلّة المشاغبة، إلى اللواتي أسعد كثيرا بلقائهم وأحزن كثيرا لفراقهم :

*****نورة– هجيرة– إسمهان–سامية–حنان–خديجة–غزلان–إيمان –فاطمة–سمية–سارة–أسماء–نوال *****

وفي الأخير أهدي هذا العمل إلى كل من أعرفهم ويعرفونني، إلى كل من أحبهم ويحبونني ، إلى كل من وسعته ذاكرتي وقلبي ونسيته مذكرتي أهدي عملي.

لويزة

إهـــــــــداء

إلى ذات الصدر الشافي، والرضا الوافي،والحب الصافي،والحنان الدافي،

إلى صاحبة الفضل بعد الله،إلى أعز وأغلي إنسانة في الوجود ،إلى معنى العطاء ،إلى من منحتني الحنان والطمأنينة إلى أمي الحنون:"**فاطمة شويحي** " أطال الله في عمرها.

إلى من تجرع مرارة الشقاء،إلى من شق الظلمات لأجلي،إلى من طبع في نفسي روح الوفاء ،وغرس في قلبي صدق الإخاء، إلى من علّمني أن الكفاح سبيل البقاء ، إلى الذي فتح الطريق أمامي للنجاح،

أهدي عملي هذا المتواضع إلى أبي الغالي"**امحْمد صالحي**"

أتمنى لهما طول العمر، وأدعو من الله أن يحفظهما لي إن شاء الله.

كما أهدي عملي كذلك الي عمود البيت وذروة سنامه،

إلى عيني إلى فرحتي التي لا تزول، إلى أخي الغالي :"**عبد الحق** "

أهدي عملي إلى من يسري دمهم في عروقي،ومن تربّعوا علي عرش قلبي وتنعّموا بفائق حبي أخواتي:

"فاطمة وابنتها ريتاج، جميلة، سهيلة ،هجيرة، سندس واللؤلؤة يسرى"

وإلى كل من يحمل لقبَي:**صالحي، شويحي** "

كما أهدي عملي إلى من تحمّلت معي الصعاب صديقة الغالية" **قطاية لويزة**".

وإلى أسيرات حبي وحبيبات قلبي ورفيقات دربي، إلى الشلّة المشاغبة، إلى اللواتي أسعد كثيرا بلقائهم وأحزن كثيرا لفراقهم :

*****وسيلة– زهية– خيرة–بنات جناح زرواق–بنات فوج02 وسيط*****

وفي الأخير أهدي هذا العمل إلى كل من أعرفهم ويعرفونني، إلى كل من أحبهم ويحبونني ، إلى كل من وسعته ذاكرتي وقلبي ونسيته مذكرتي أهدي عملي.

رشيدة

قائمة المختصرات:

العبارة	الرمز
الميلادي	م
الهجري	هـ
المجلد	مج
العدد	ع
الطبعة	ط
الصفحة	ص
الجزء	ج
ترجمة	تر
تحقيق	تح
دون طبعة	د ط
دون تاريخ النشر	د ت
دون بلد النشر	د ب
دون دار نشر	د د
توفي	ت

المقدمة

تعدّ السّفارات من أهمّ وأقدم الأنظمة السياسية التي عرفها العرب في جاهليّتهم وإسلامهم، لأثرها الكبير في ربط العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، فقد كان السفراء المسلمون يُختارون وفق شروط ومواصفات محدّدة. فالسفير الإسلامي كان يمثّل الخليفة أو الملك يفاوض عنه ويبرم العقود والمعاهدات نيابة عنه، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المعلّم والقدوة في اتّباعه أرقى أساليب التّعامل وأفضلها مع الملوك، ويحسن استقبال الرسل والسفراء ويكرّم وفادتهم.

وقد عرفت الدولة الأموية في الأندلس منذ تأسيسها في مطلع القرن الثاني هجري تحوّلات في علاقاتها مع دول العالم آنذاك، تَبادلا المراسلات والسفارات فقد اجتذبت أنظار الأمم والدول بعد أن غدت مركز الزعامة في العالم، تسابقوا لخطب ودّها ورضاها. فتوالت الوفود والسفارات على العاصمة قرطبة سواء من العالم الإسلامي أو العالم المسيحي تنشد الحلف والصداقة والمهادنة، وأصبحت الأندلس قاعدة الحكم الأموي بعدما كانت ولاية أموية تابعة للمشرق الإسلامي سابقا، فتبوّأت مركز الصدارة بين الدول الإسلامية نافست الدولة العبّاسية التي دخلت في الانحلال والدولة الفاطمية الفتية في المشرق إلى أن تصل إلى ذروة قوتها ونفوذها، فكانت الأندلس مركز الجاذبية الدبلوماسية.

دواعي اختيار الموضوع:

اعتبارا لتخصّصنا واهتمامنا الكبير بدراسة مختلف الأحداث التي عرفها التاريخ الإسلامي، وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فالأسباب الذاتية تمثلت في ميولنا لتاريخ الأندلس الذي كان حافلا بالأحداث السياسية، أمّا الأسباب الموضوعية تكمن في:

- معرفة علاقات الدولة الأموية في الأندلس مع دول العالم في الفترة موضوع الدراسة.
- الوقوف على السفارات المتبادلة بين أُموي الأندلس والدّول المعاصرة لها ومعرفة أغراضها.
- قيمة الموضوع وأهمّيته التاريخية.

أهمية الدّراسة:

يكتسي موضوع السفارات في عهد الدولة الأموية في الأندلس (ق2هـ-5هـ/8م-11م) أهمية كبيرة، ويمكن حصر هذه الأهمية في النقاط التالية:

- معرفة تاريخ السّفارة وما يتعلق بها.
- التّعرف على طبيعة علاقات أموي الأندلس مع الدّول الأخرى سواء مع العالم الإسلامي أو المسيحي.
- معرفة السّفارات المتبادلة عهد الدولة الأموية سواء في السّلم أو الحرب.
- إبراز التّطور الثقافي والحضاري الذي وصلت إليه الأندلس باعتبارها مركز الجاذبية الدبلوماسية.
- إثراء المكتبة بمادة علمية جديدة تصبّ في الموضوع.

إشكالية الدراسة:

بناءا على ما سبق ذكره صُغنا الإشكالية التالية:

إلى أيّ مدى كانت السّفارة أداة فعّالة في تأسيس دبلوماسية قوية للدولة الأموية في الأندلس؟ وللإجابة عليها اقترحنا مجموعة من التساؤلات:

- ما هي شروط ومواصفات السّفير؟.
- هل التزم الأمويون بالأندلس بشروط ومواصفات اختيار السّفير مثل سابقيهم؟.
- بم تميّزت السّفارات بالأندلس خلال حكم الأمويين؟.
- إلى أيّ مدى نجحت الدولة الأموية في الأندلس في استخدام السّفارات والتّعامل مع الدول المجاورة لها؟.

الدراسات السابقة:

لقد وقفنا على مجموعة من الدراسات وتمّ التطرّق فيها إلى جوانب فقط من الموضوع ومنها:

- عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، فقد تطرق إلى العلاقات بين الدولة الأموية والإمارات المغربية من خلال ذكر المراسلات والسفارات المتبادلة بينهما. كما انفرد بذكر بعض الأحداث التي لم تشر إليها المراجع الأخرى.

– أمينة حميدية، مليكة عليان، **السفراء والدبلوماسيون في التاريخ الإسلامي ما بين القرنين الرابع والسادس هجري(10م/11م)**،مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في العصر الوسيط، تناولت نماذج عن السفارة والسفراء مابين القرنين(4هـ–6هـ/10م–12م).

المنهج المتّبع في الدراسة:

تقتضي الدّراسة العلمية من كلّ باحث الإلمام بالمنهج المتّبع، ولدراسة موضوعنا هذا، اعتمدنا على منهجين وهما: المنهج الوصفي والمنهج التّحليلي، أمّا المنهج الوصفي فهو الأنسب لموضوعنا والذي يقوم على التأكّد من المعلومات والرصد والمتابعة الدقيقة للحدث بطريقة كميّة أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدّة فترات من أجل التعرف عليه من حيث المحتوى والمضمون ومساعدتنا في فهم الحادثة التاريخية أكثر، أمّا المنهج الّتحليلي فاعتمدنا عليه لتحليل مختلف الأحداث والوقائع ثم استنتاج ما يمكن استنتاجه.

خطة البحث:

بعد اطّلاعنا على المادّة العلمية التي احتوت مضمون موضوعنا، وللإجابة على التساؤلات المطروحة، ارتأينا تقسيم عملنا هذا إلى مقدّمة ومدخل وثلاث مباحث، وكلّ مبحث إلى عناصر، وانتهينا إلى خاتمة ومجموعة من الملاحق.

مقدّمة: ضمنّاها تمهيدا لموضوع البحث، أسباب اختيار الموضوع، أهمّية الدّراسة، المنهج الذي اتّبعناه وخطة البحث وأهم مصادره والصّعوبات التي واجهتنا.

المدخل: تناولنا فيه لمحة تاريخية وجيزة عن الدولة الأموية في الأندلس.

المبحث الأول: تطرّقنا فيه إلى تعريف السّفارة وما يتعلّق بها.

ونظرا للعهود التي مرّت بها الدولة الأموية في الأندلس في الفترة موضوع الدراسة، ارتأينا تقسيم هذه الفترة إلى عصرين: عصر الإمارة وعصر الخلافة على المبحثين الثاني والثالث على التّوالي، والذي تناولنا فيهما السّفارات بين أموي الأندلس ودول العالم الإسلامي والعالم المسيحي. وخلصنا بخاتمة تمثّلت في الاستنتاجات المستخلصة من الدّراسة.

عرض تقييمي لأهمّ المصادر:

أ/ كتب التاريخ العام :

- ابن حيان أبو مروان ابن خلف ابن حسن حيّان ت(469هـ/1076م)، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس:** شيخ المؤرخين الأندلسيين وعمدتهم، تناول تاريخ الأندلس من الفتح إلى أواخر القرن الرابع هجري امتاز أسلوبه بالدقة والضبط وهو من المصادر الأصلية للموضوع، ولأن أغلب أجزائه تعتبر في حكم المفقود، فقد اعتمدنا على القطعتين المتوفرتين المحققتين من هذا الكتاب:

الأولى: التي تناولت عصر الحكم ابن هشام وعصر عبد الرحمان الثاني، حقّقها الدكتور محمود علي المكي.

أمّا الثانية: فتناولت عصر الحكم المستنصر بالله من سنة (360هـ/971م) إلى سنة (364هـ/974م) حقّقها عبد الرحمان علي الحجي.

اهتم بتسجيل علاقات الدولة الأموية في الأندلس مع الإمارات المغربية والممالك المسيحية، بإعطاء إفادة واسعة في أخبار السفارات والوافدات واستقبالات الضيوف والرسل، فقد كان ابن حيان موظفا كبيرا في الدولة حيث كان من كتاب المنصور ابن أبي عامر وهذا ما ساعده على الاطلاع على هذه الوثائق والرسائل وتسجيلها.

- ابن خلدون عبد الرحمان ابن محمد ت (808هـ/1405م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.**

من أهم المصادر في تاريخ الغرب الإسلامي، اعتمدنا فيه على الجزء الثاني، الرابع والسادس، فقد أفادنا الجزء الثاني والسادس في تعريف ببعض المصطلحات والقبائل، أما الجزء الرابع فاعتمدنا عليه كثيرا في دراسة الرسائل والسفارات المتبادلة مع العالم المسيحي رغم وجود أخطاء في التواريخ والأحداث، كما أنه في بعض الأحيان لا يذكر الحادثة ولا يعطي تفاصيلها ولا تاريخها ولكن نبذة مختصرة فقط.

- ابن الأثير علي محمد ابن عبد الكريم ابن عبد الواحد ت(630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ.**

ويعدّ من أفضل المصادر المشرقية التي تناولت تاريخ العالم الإسلامي سواء المشرقي أو المغربي، اعتمد في كتابه عن المنهج الحولي في ذكر الأحداث، لهذا امتازت كتاباته بالدقة والموضوعية، اعتمدنا عليه في ذكر بعض الأحداث كالسّفارات المتبادلة بين أموي الأندلس والإمارات المغربية.

- ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد، عاش في القرن السابع هجري/الثالث ميلادي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**.

من أهم المصادر في تاريخ الغرب الإسلامي، تناول التّاريخ السياسي للمغرب والأندلس المرتّب حسب السنين، اعتمدنا عليه في جميع مراحل البحث وبصفة خاصة الجزء الأول والثاني ورغم اعتماده على المنهج الحولي غير أنّه لم يذكر بعض الأحداث وإن ذكرها يذكرها بإيجاز.

- المقري أحمد محمد التلمساني ت (1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب**.

رغم كونه من المصادر المتأخرة إلا أنّه يعتبر موسوعة أدبية تاريخية، وتكمن أهميته في اعتماده على المصادر الأصلية كابن حيان، فقد اهتم بذكر المراسلات بين أموي الأندلس والممالك المسيحية ومراسيم استقبال السفراء الذي أسهب في ذكرها.

- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد ت(776هـ/1374م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**.

يقع في ثلاثة أجزاء وقد اعتمدنا على الجزء الثاني الذي يتناول تاريخ إسبانيا، فقد اهتم بتسجيل السفارات المتبادلة بين الدولة الأموية في الأندلس وممالك إسبانيا النصرانية، امتازت معلوماته بالدقة لاعتماده على مؤلفات أصلية كابن حيان.

ب/ كتب التراجم والطبقات:

- الحميدي أبو محمد ابن أبي نصر فتوح عبد الله الأزدي ت(488هـ/1095م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولّاة الأندلس**، اهتم بترجمته لأمراء وخلفاء بني أميّة والأحداث التي جرت في عهدها.

- ابن الأبار أبو عبد الله محمد ابن عبد الله ابن أبي بكر القضائي ت(658هـ/1259م)، **الحلّة السيراء**.

اعتمدنا على الجزء الأول والثاني، ترجم لأمراء وكبار رجال الدولة في المغرب والأندلس حسب القرون، من القرن الأول إلى القرن السابع هجري.

ج/ كتب الجغرافية:

- البكري أبو عبيد الله القرطبي ت(487هـ/1094م)، **المسالك والممالك**.

اعتمدنا عليه في التعريف ببعض المواقع سواء في الأندلس أو المغرب الإسلامي، فقد قدّم أوصافا وافية عن هذه المناطق، كما انفرد بذكر بعض الأخبار دون غيره، فقد سجّل المراسلات والمكاتبات التي تمّت بين أموي الأندلس وإمارة برغواطة.

- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ت(626هـ/1228م)، **معجم البلدان**.

من أهم المعاجم الجغرافية التي لا يستطيع أيّ باحث في التاريخ الاستغناء عنها، اعتمدنا عليه كثيرا في التعريف بالمواقع الجغرافية التي قدّم أوصاف عنها.

د/ كتب الأدب والسياسة:

-ابن دحية أبو الخطاب عمر ابن حسن الكلبي ت(633هـ/1235م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**. فهو مؤرخ وأديب وهو المصدر الوحيد الذي انفرد بذكر سفارة الغزال إلى النورمان (الفايكنغ).

- ابن الفراء أبو الحسن ابن محمد، عاش حتى النصف الأول من القرن الخامس هجري، **رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة**.

وهو من الكتب السياسية الهامة، اهتم برسل الخلفاء والملوك وما يتعلق بهم من صفات وآداب، ذكر الشروط والمواصفات التي كان بعض الملوك من الفرس والروم والمسلمين يراعونها في اختيار السفراء.

الصعوبات:

كأي بحث علمي أكاديمي في مجال الدراسة، لا يخلو من الصعوبات، فقد واجهتنا أثناء مسيرة هذا المجهود المتواضع عدّة عقبات أهمّها:

- عدم دقّة التواريخ الواردة في المصادر واختلافها، فضلا عن التفاوت في الروايات المتعلّقة بالموضوع، خاصة تلك التي تناولت السفارات بين أموي الأندلس والعالم المسيحي.
- فقدان بعض المصادر الأندلسية المعاصرة للدولة الأموية في الأندلس، كالمقتبس لابن حيان الخاص بعصر الخلافة باعتباره المصدر الوحيد الذي تناول هذا الجزء المخصّص من موضوعنا.
- كثرة المعلومات فيما يتعلّق بالسفارات بين أموي الأندلس والعالم المسيحي وقلّتها مع العالم الإسلامي ممّا عسّر علينا ضبطها وموازنتها.
- ندرة وعدم وجود المادّة العلمية المتعلّقة بجزء السفارات بين الدولة الأموية في الأندلس والمشرق الإسلامي.

ولكن توكلنا على الله عزّ وجل، وإرادتنا بالنجاح، وتشجيع أستاذنا المشرف على الجدّ والمثابرة في العمل، جعلنا نتجاوز العديد من هذه الصعوبات. وفي الأخير ندعو الله أن يوفّقنا لبلوغ ما توخيناه من غايات، وحمل سوانا على إتمام ما أهملنا، أو إصلاح ما فيه أخطأنا، والحمد لله أوّلا وأخيرا.

مدخل تمهيدي: لمحة تاريخية عن قيام الدولة الأموية بالأندلس

1- أصل التسمية.

2 -الموقع الجغرافي.

3-العهود التي مرت بها الدولة الأموية بالأندلس.

1-أصل التسمية:

قبل الشروع في الحديث عن تاريخ الدولة الأموية في الأندلس لابد من الوقوف على جغرافيتها لما لها أثر على التاريخ، فعندما نقول الأندلس فإننا نعني ما سمّوه العرب من شبه الجزيرة الأيبيرية(البرتغال وأسبانيا)، لأنهم عندما فتحتوا الأندلس فتحوها كلها إلى جبال ألبرت إلى خليج بسكاي الذي يسميه العرب"حائط الإفرنجة" ثم أخذوا يتراجعون شيأ فشيأ حتى قيام الدولة الأموية سنة(138هـ/754م)، حينها كان المسلمون قد فقدوا الرّكن الشّمالي الغربي لشبه الجزيرة واستمر سلطان المسلمين على بقية البلاد حتى سقوط الخلافة الأموية الأندلسية سنة(422هـ/1031م)[1]، وبعد ذلك أخذوا ينحسرون ويفقدون أجزاء أخرى من شبه الجزيرة، حتى اقتصر في النهاية على مملكة غرناطة في الركن الجنوبي من الجزيرة[2].

عُرفت الأندلس وشبه جزيرة إبيريا بأسماء عديدة عبر العصور التاريخية نُسب بعضها إلى أسماء أنهارها والبعض الآخر إلى أسماء الشعوب والقبائل التي سكنت في ربوعها. لقد سميت في القديم ب(إبيريا) إلى نهر إيبروا أو إلى اسم القبائل التي سكنت حول هذا النهر،ثم عمّم اسمها على كل شبه الجزيرة من واقع انتشارها في أرجائها.وعرفت أيضا باسم بيتيكا نسبة إلي نهر بيتي، وهو نهر قرطبة الذي أطلق عليه المسلمون اسم الوادي الكبير وكان اليونانيون قد نزلوا على ضفّته وعمّموا اسمه على كامل شبه الجزيرة على الرغم من أنّ الرومان أطلقوه على الجنوب فقط[3].

وأصل كلمة الأندلس اختلف فيه المؤرخون،فقيل اسم الأندلس في اللغة اليونانية إشبانيا، وقالوا أوّل من سكنها قوم يعرفون بالأندلس بالشين المعجمة فسمّي البلد بهم، ثم عرّب بعد ذلك بالسّين المهملة،والنصارى يسمّون الأندلس إشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له إشبان ابن طيطس، وهذا اسمها عند بطليموس،وقيل سمّيت بأندلس ابن يافت ابن نوح وهو أوّل من عمّرها[4].

---

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 1999م، ص262-263.

[2] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، (دط)، دار النهضة العربية، بيروت، (دت)، ص17.

[3] مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط3، دار النفائس، بيروت، 2010م، ص13. أبي عبد الله البكري، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص377.

[4] أبو حسن علي ابن أبي الكرم مُحَمَّد ابن عبد الكريم ابن عبد الحامد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تص: مُحَمَّد يوسف الدقاق، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص267.

أو اشتقاقا من اللفظ الفينيقي سيبان الذي يعني الساحل بلاد الأرانب، وكانت شبه الجزيرة غنيّة بها، والمعروف أنّ الفينيقيين هم أوّل الشعوب المتحضرة التي نزلت تلك البلاد[1].

وقيل أيضا أن اسمها على الحقيقة إشبارية مسمّاة من بشيري، وهو الكوكب المعروف بالأحمر وسمّيت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها[2]. وكلمة أندلس اشتقّها المسلمون من كلمة واندلوس وهي اسم قبائل الوندال الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن الخامس الميلادي[3]، واستقرت في السهل الجنوبي بيتيكا، ولأن هذا السهل قد نسب للوندال وصار يعرف بفاندلوسيا أو الأندلس، وكان أول ما فتحه المسلمون من أقاليم شبه الجزيرة، وتقع فيه المدن التي أدت دورا أساسيا وبارزا في أيّام الحكم الإسلامي. مثل قرطبة[4] التي اتخذوها عاصمة لهم، واشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وغيرها، لذلك أطلقوا اسمه على سائر شبه الجزيرة التي أضحى معظمها تحت سيطرتهم[5]، وهذا يعني أن لفظ الأندلس لا يشمل جغرافيا كل إسبانيا لأن سيادة المسلمين لم تنتشر بصورة مطلقة على جميع أجزاء البلاد[6].

2-الموقع الجغرافي:

تقع شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية، وهي تكوّن كتلة جسميّة داخلة في البحر تكون خماسية الشكل وتصلها بالقارة سلسة جبال البرانس[7]، وسميت جزيرة الأندلس بالجزيرة لأنها شكلت مثلث وتضيق من ناحية الشرق الأندلس، حتى يكون بين

---

[1] مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص14.

[2] أبو عبد الله مُحَمَّد ابن عبد الله ابن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تص: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1983م، ص2. البكري، المصدر السابق، ص378.

[3] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص17.

[4] مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها سرير لملكها وكانت بها ملوك بني أمية، وذكر تفسير اسم قرطبة بلسان القوط طاسعوط، وهي عندهم القلوب المختلفة وقال آخرون قرطبة كور ياعاقل اسكنها، تفسيره أجري ياعاقل اسكنها. انظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، (دط)، دار صادر، بيروت، 1977م، ص324. أحمد بن عمر العذري،نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار،والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك،تح:عبد العزيز الأهواني، (دط)، منشورات المعهد الدراسات الإسلامية ،مدريد،(دت)،ص121.

[5] مُحَمَّد سهيل طقوش، نفسه، ص14.

[6] نفسه، ص14.

[7] ج. س كولان، الأندلس، تح: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية اللبناني، بيروت، 1980م، ص61.

البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بالأندلس خمسة أيام، يحيط بها البحر من جميع الجهات الثلاث، من الجنوب يحيط بها البحر الشامي ومن غربها يحيط بها البحر المظلم ومن الشمال يحيط بها بحر الأنقليشن من الروم[1].

وهي مقابل السواحل الشمالية للعرب، حيث يفصل بينها مكان يعرف قديما ببحر الزقاق أو مضيق جبل طارق الاسم الذي غلب عليه منذ الفتح الإسلامي للأندلس، وتتّصل في الشمال بفرنسا –بلاد الفرنجة قديما بواسطة جبال البرانس وهي جبال شاهقة، تمتد من منطقة برشلونة في الشرق حتى مدينة بيونة في المغرب، وتتخلّلها شهاب ضيقة، وممرّات وعرة أشهرها ممر الرونسقال. وتتكون في معظمها من هضبة كبيرة تعرف بالمسيتا وهو مايجعلها تبدو وكأنّها وحدة جغرافية، إلّا أنّ كثرة الجبال التي تمتد في معظمها في اتجاه أفقي من الشرق إلي الغرب، فضلا عن الأودية العميقة فيما بينها قد فتتت هذه الوحدة وأعاقت الاتصال بين الأجزاء المختلفة لشبه الجزيرة، فنشأت وحدات محلية تنفصل كل منها عن الأخرى بحواجز طبيعية، ممّا أثّر على الأوضاع السياسة[2].

ولقد وصف الجغرافيون والرحالة بلاد الأندلس بأوصاف كثيرة رائعة مثلما ما وصفها البكري:"**والأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها، فيها آثار عظيمة للأول من اليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة، وكان من الذين أثروا الآثار بالأندلس هرقلش، وله الأثر في الضم بجزيرة قادس، وضم جليقية والآخر في مدينة طركونة الذي لا نظير له**"[3].

ووصف ابن حوقل الأندلس:" **فهي من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما حوته واشتملت عليه بحال سآتي بأكثرها...ودخلتها في أول سنة سبع وثلاثين**

[1] أبو عبد الله مُحَمَّد ابن عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، (دط)، مكتب الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص535.

[2] مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص15–16.

[3] البكري،المصدر السابق،ص383.

وثلاثمائة...ويغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والأنهار العذبة، والرخص والسعة في جميع الأحوال إلى قبلة النعيم والتملك الغاشي في الخاصة والعامة..."[1].

الأندلس جزيرة كبيرة طولها نحو شهر وعرضها نيف وعشرين مرحلة، ومساحة الأندلس تزيد وتنقص حسب سيطرة المسلمين عليها بيد أن حكم المسلمين تجاوز برشلونة، وما وراءها من الشرق وإلى لشبونة وما جاوزها في الغرب، ولم يبق في أيدي الأسبان والبرتغاليين من هذه الجزيرة سوى أراضي مصحّرة ضئيلة من الشمال تعرف ببلاد الجلالقة وآشتوريا. فالمسلمين لم يملكوا إذاً الجزيرة بأسرها حين افتتحوها، وإنّما ملكوا معظمها ولذلك لا تُعرف مساحة الأندلس الإسلامية على التحقيق[2].

3- العهود التي مرّت بها الدولة الأموية في الأندلس:

استقر حكم المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية ثمانية قرون، منذ فتحها بقيادة طارق ابن زياد وموسى ابن نصير وآخرين سنة (92هـ/711م) حتى سقوط غرناطة سنة (897هـ/1492م) ومرّت الأندلس في هذه القرون بعدّة عهود، تقلّبت خلالها بين الضّعف والقوّة وبين النّصر والهزيمة[3]، وأزهى عصور الأندلس كان تحت حكم الدولة الأموية(138هـ-422هـ/755م-1032م) والذي يقسّمه المؤرخون إلى قسمين: عصر الإمارة وعصر الخلافة، والذي يسبقهما عهد الفتح وعهد الولاّة.

أ/ عهد الفتح (92هـ-95هـ/711م-714م):

استمر حوالي أربع سنوات وأوّل ما بدأ الفتح الإسلامي كان من خلال سرية استكشافية أرسلها موسى ابن نصير سنة(91هـ/710م) بقيادة طريف ابن مالك الملقب بأبي زرعة وهو مسلم بربري، قام بعدّة غارات فغنم غنائم كثيرة وحازوا أموالا وأسرى[4]. وكان طريف ابن مالك قد عرف

[1] أبو القاسم مُحَمَّد ابن علي الموصلي البغدادي ابن حوقل، صورة الأرض، (دط)، دار مكتب الحياة، بيروت، 1992م، ص104.

[2] محمود الكردي علي، غابر الأندلس وحاضرها ، (دط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص17.

[3] عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق،1981م، ص39.

[4] نفسه، ص45. مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري،مج1، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص16.

جنوب الأندلس جيدا وعاد إلى موسى ابن نصير شارحا له ما عرفه، فبدأ موسى ابن نصير بتجهيز جيشه وإعداده العدّة لمدة عام كامل، وكلّف طارق ابن زياد أميرا عليه، وتوجّه للأندلس وقد اختار طارق البحر سنة(92هـ/711م) بعدما أذن له موسى ابن نصير ومعه ثلاثمائة من العرب، ومن البربر عشرة آلاف، ولما بلغ لذريق غزو طارق لبلاده جهّز له جيش من مئة ألف، فأرسل طارق ابن زياد إلى موسى أن يمدّه بجيش بعد أن تجهّز له لذريق، فأمده موسى ابن نصير بخمسة آلاف[1]، والتقى الجيشان على نهر لكة من أعمال شذونة، في 2رمضان 92هـ، واستمرت الحرب ثمانية أيام انتصر فيها طارق وهزُم لذريق وغرق في النهر[2].

وبعد الفتوحات التي أنجزها المسلمون في الأندلس، أمر الوليد عبد الملك موسى ابن نصير بالعودة إلى الشام، فاستجاب موسى ابن نصير لذلك الأمر مكرها، وعلى ما يبدوا أن سبب استدعاء الوليد عبد الملك ابن عبد الملك لموسى خوفه على المسلمين من التوغل في البلاد لم يخبروها، خاصة وأنّ عددهم لم يكن كبيرا، وبعودة موسى لدمشق توقف الفتح واستجمع النصارى قواتهم المبعثرة[3].

ب/ عهد الولاة (95هـ-138هـ/714م-755م):

ويعتبر بعض المؤرخين مدّة الفتح داخلة في هذا العهد، الذي ينتهي بقيام الدولة الأموية في الأندلس على يد عبد الرحمان الداخل عام 138هـ، حفلت هاته الفترة بالأحداث الجسام والاضطرابات، فقد حكم الأندلس في هذا العهد الذي استمر حوالي 42سنة تحت حكم عشرين واليا تقريبا، كانوا تابعين للخلافة في دمشق مباشرة أو بواسطة ولاية الشمال الإفريقي (إفريقية والمغرب)[4].

وأول المجاهدين في عهد الولاة نجد السمح ابن مالك الخولاني الذي حكم الأندلس سنة (97هـ/716م) وانقطع حكمه ثم عاد من سنة (100هـ/719م) بأمر من الخليفة عمر ابن عبد العزيز

[1] رامز إسماعيل حربي، عوامل سقوط الأندلس(92هـ-897هـ/711م-1492م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، عبد العزيز خالدي،الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م، ص19-20.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ص268.

[3] رامز إسماعيل حلبي، نفسه، ص21.

[4] أسعد حومد، محنه العرب في الأندلس،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988م، ص61. عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص39.

رحمه الله، ففي فترته عمّ الأمن والعدل بلاد المسلمين، وقام فتح الجنوب الغربي لفرنسا، وظل السمح يجاهد ويعلم الناس الإسلام في الأندلس إلى أن استشهد سنة(102هـ/721م) في أرض الفرنجة يوم التروية، ويعد السمح جاء القائد عنبسة ابن سحيم، بمجيئه استقام أمر الأندلس وغزا الفرنجة وتوغل في بلادهم واستشهد سنة (107هـ/726م)[1].

وفي هذه الفترة أخذ المسلمون يفكرون في غزو فرنسا عبر جبال البرانس وفي سنة (112هـ/730م) قاد عبد الرحمان الغافقي الجهاد الذي بلغ في زمانه مدا بعيدا إلى أن وصل إلى معركة بلاط الشهداء أو غزوة البلاط، وفي تلك المعركة قاد الغافقي جيشا من خمسين ألف مقاتلا، والذي يعتبر أكبر حملة تدخل فرنسا، ولكن لم يقدر له النصر حيث هزم المسلمون أمام الفرنجة بقيادة شارل مارتل، وبعد معركة عنيفة جرت عام (114هـ/732م) وفيها قتل الغافقي.

فاختلفت كلمة المسلمين وقرّروا الانسحاب ليلا[2]، وبعدها توالت أحداث مأساوية على الأندلس واستمرت الاضطرابات وانتشرت نار الفتنة بينهم، إلى أن جاء عبد الرحمان الداخل[3] الذي نظّم أمور الدولة وقد كانت هذه الفترة من أخطر الفترات التي مرت في تاريخ الأندلس وحكامها[4].

ج/ عهد الإمارة (138هـ-316هـ/755م-929م):

انتهى عهد الولاة بمجيء عبد الرحمان ابن معاوية (الداخل) بعد يوسف الفهري آخر الولاة، وكان مجيء الداخل عندما انتهى حكم بني أمية في المشرق وتغلب بنو العباس على الخلافة، وقتلوا عبد الله ابن علي مروان ابن مُحَمَّد ابن مروان ابن الحكم آخر خلفائها، فنكل بهم العباسيون أبشع تنكيل، وكان ممّن أفلت منهم عبد الرحمان ابن معاوية ابن هشام ابن عبد الملك ابن مروان

[1] رامز إسماعيل حلبي، المرجع السابق، ص22.

[2] نفسه، ص23. أسعد حومد، المرجع السابق، ص64-65.

[3] هو عبد الرحمان ابن معاوية ابن عبد الملك ابن مروان أبو مطرف الأموي المرواني، المشهور بالداخل، لأنه حين انقرضت خلافة بني أمية من الدنيا أو قتل مروان الحمار، وقامت دولة بني العباس، هرب ودخل الأندلس وهو أوّل أمراء بني أمية في الأندلس. انظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: عبد العزيز أحمد،ج8، ط11،(دد)، بيروت، 1996م، ص244. أبو عبد الله مُحَمَّد ابن فتوح الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاّة الأندلس، تح: بشار عواد معروف، مُحَمَّد بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2002م، ص28.

[4] أسعد حومد، نفسه، ص69.

الملقّب بصقر قريش[1]، وهرب إلى شمالي إفريقيا واختفى عند أخواله البربر من قبيلة نفزة بعض الوقت. ثم فكر في الاتجاه إلى الأندلس لعله يجد فيها ما يرضي طموحه، وقد كانت حالة الأندلس تغلي بالاضطرابات بين العرب والبربر من جهة وبين العرب أنفسهم من جهة أخرى[2].

ولما كان جيش اليمنيين يحاصر الصُميل في سرقسطة دخل دعاة عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس يبثون الدعوة له، ولما علموا بتحرّك المضرية لنجدة الصُميل، اندس عدد من هؤلاء الدعاة بين المضرية ولما انسحب اليمنيون حاول الدعاة إقناع الصميل بالتعاون معهم لخدمة عبد الرحمان الداخل، فقبل في بادئ الأمر ثم نكل مخافة من ضياع الأمر من يديه، وعندئذ قرّر دعاة الاتجاه إلى اليمنية، فرحب اليمنيون بمقدم عبد الرحمان الداخل لعلهم عن طريقه يستطيعون استعادة نفوذهم، فعبر المضيق ونزل حصن (طرش) وكان أكثر من فيه الموالين للأمويين.

وأخذ عبد الرحمان الداخل يعمل على تتبع الحوادث وجمع النصارى، ولما علم يوسف والصميل قد خرجا إلى الشمال لقمع بعض الفتن، تحرك نحو قرطبة، محاولا الاستيلاء عليها ولكن زوجة يوسف طيرت إليه الخبر فعاد مسرعا. وقف الجيشان ويفصل بينهما نهر الوادي الكبير عند قرية (المصارة) يوم09ذي الحجة من عام (138هـ/755م) وأخذ عبد الرحمان يعمل الحيلة، فراسل خصومه يقول لهم بأنه في أيام عيد الأضحى، ولا يجوز فيها سفك الدماء وأنه مستعد لمفاوضتهم إذا مكّنوه من اجتياز النهر إلى جهتهم، فقبل يوسف والصميل ذلك. وأرسلا إليه المؤون، ولما اجتاز عبد الرحمان إلى الجانب الآخر قال لخصومه لا مجال للمفاوضة إلا إذا قبلوا به أميرا على الأندلس، باعتباره صاحب الحق الشرعي فكانت الحرب[3].

وأبدى عبد الرحمان الداخل في المعركة الجرأة وحسن التدبير وانتصر فيها على يوسف والصميل ودخل عبد الرحمان الداخل قرطبة، وتسلم مقاليد الأمور فيها في ذي الحجة من عام (138هـ/755م). وكان ذلك بدءا لحكم الأمويين في الأندلس، لتقوم فيه دولة إسلامية تقيم شأن الأندلس الإسلامي بعد أن كاد ينهار وكان من حظ الأندلس أن اختفى هذا العصر المضطرب،

[1] أحمد ابن مُحَّد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج1، (دط)، تح: إحسان عباس،دار صادر، بيروت، 1968م، ص327– 328. عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص39.

[2] أسعد حومد، المرجع السابق، ص70.

[3] نفسه،ص70. رامز إسماعيل حلبي، المرجع السابق، ص25.

ولم تطأ قدم عبد الرحمان الداخل أرض هذه البلاد لصار تاريخ الإسلام فيها، إلى ما سيصير إليه تاريخ الإسلام في صقلية بعد ذلك نيف وثلاثة قرون، اختلاف وتفرق الحروب بين المسلمين ثم يكتسحهم أعداؤهم وينتهي أمر الإسلام في الجزيرة[1]. وينتهي عصر الإمارة منذ إعلان الخلافة من قبل عبد الرحمان الثالث الناصر لدين الله.

ج/ عصر الخلافة (316هـ–400هـ/929م–1009م):

ويبدأ منذ إعلان الخلافة من قبل عبد الرحمان الناصر لدين الله [2]حتى وفاة الحكم المستنصر بالله[3] سنة (366هـ/976م) أو حتى الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الحادي عشر ميلادي، فكان عمر الخلافة حوالي قرن[4].

يعتبر عصر الخلافة من أزهى العصور في تاريخ الأندلس[5]، بعد مجيء عبد الرحمان الناصر إلى الحكم وإعلان نفسه خليفة على المسلمين وإقراره للأوضاع وظهور السلطان الأندلسي بمظهر القوة[6]، ولا شك أنه كان مدفوعا بمصالح مختلفة في الخارج والداخل أهمها:

1–ضعف الخلافة العباسية في المشرق أيام المقتدر، واستبداد القواد الأتراك بها وعجزها عن حماية العالم الإسلامي[7].

2–قيام خلافة شيعية فتيّة معادية في المغرب وهي الخلافة الفاطمية التي كانت تدنوا إلى الأندلس بعين لا تخلو من الطّمع والغدر.

---

[1] حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1959م، ص531،533.

[2] هو عبد الرحمان ابن مُحَمَّد ابن عبد الله تولّى الأمر وله اثنان وعشرون سنة، فلمّا بلغه ضعف الخلافة العباسية بالعراق وظهور الشيعة بالقيروان تسمّى عبد الرحمان بأمير المؤمنين وتلقّب بالناصر لدين الله.انظر: أحمد ابن يحي الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص39.

[3] هو الحكم ابن عبد الرحمان الناصر والملقّب بالمستنصر، ولي سنة خمسين وثلاثمائة وكان عمره سبع وأربعين سنة، ويكنّى بأبي العاص وأمه تسمّى مرجان، كان محبّا للعلم مكرما لأهله. انظر: الحميدي ،المصدر السابق، ص33.

[4] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص39– 40. مُحَمَّد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، ط3، مؤسس الرسالة، بيروت، 1986م، ص42.

[5] ماهر حمادة، نفسه، ص42.

[6] عبد الرحمان علي الحجي، نفسه، ص300.

[7] المقري ،المصدر السابق ،ج1،ص 353. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص180.

3- ضعف مكانة الأمير الأموي في قرطبة نتيجة للثورات والفتن الداخلية التي شغلت العهود الثلاثة من الأمراء قبله، بحيث أصبحت الحاجة الماسّة إلى رفع مكانته ومنزلته السياسية والدينية، لا سيما وأن تلك الثورات الداخلية قد قضى عليها في بداية عهد عبد الرحمان الثالث.

4-الاستجابة لرغبة الأندلسيين في أن تكون الخلافة للمسلمين.

تلك هي الأسباب والدوافع بصفة عامة التي أدّت إلى قيام هذه الخلافة الجديدة في الأندلس[1]، نفّذ ذلك بأمر أصدره في مستهلّ ذي الحجة سنة 316هـ[2]، وجاء في هذا الكتاب الذي أصدره:

" **بسم الله الرحمان الرحيم،(وﷺ على نبيّه).أما بعد فإنا أحقّ من استوفى حقّه، وأجدّ من استكمل حظّه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، فنحن للذي فضّلنا الله به، وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسّر على أيدينا، ورسول بدولتنا مرامه وللذي أشاد في الأفاق من ذكرنا، وعلوّ أمرنا...وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنّا وورودها علينا بذلك**"[3].

فقد تمكّن الناصر لدين الله من توحيد الأندلس، وأن يقضي على الثورات ويعيد توطيد هيبة الحكم، وتحقيق الأمر والاستقرار. ووصلت الخلافة الأندلسية في عهده إلى ذروة رفيعة عالية جعلت كثيرا من الدول تخطب ودّها[4]. توفي عبد الرحمان الناصر في الثاني من رمضان315هـ الموافق ل15أكتوبر 961م، وقام من بعده ابنه الحكم ابن عبد الرحمان الذي تلقّب بالمستنصر وتابع سياسة أبيه في الحكم[5]، فقد وصلت الأندلس في عهده إلى درجة لم تبلغها من قبل ولا من بعد.

[1] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص180.

[2] أبو العباس أحمد ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان،ليفي بروفنسال،ج2، ط2،دار الثقافة، بيروت، 1980م، ص158.

[3] نفسه، ص198.

[4] مُحَمَّد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص42- 43.

[5] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص382.

ثم خلفه ابنه الخليفة هشام الثاني الذي لم يكن له في الأمر شيء تقريبا لصغر سنّه، سيطرت عليه أمّه في بادئ الأمر، ثم مُحَمَّد ابن أبي عامر[1]الذي لقّب فيما بعد بالمنصور، فتاريخ الأندلس في الفترة(366هـ-399هـ/796م-1008م) وهو تاريخ الأسرة العامرية ليست من بيت الملك ولكنّها استطاعت أن تستبدّ بالحكم[2].

وبمقتل عبد الرحمان شنجول تنتهي دولة بني عامر سنة 399هـ، وكما يسمّي بعض المؤرخين فترة حكمهم بالدولة العامرية والفترة الباقية من العصر الأموي بالأندلس مليئة بالفتن والاضطرابات، تصارعت فيها العناصر المختلفة في الدولة كالبرابرة والصقالبة وأهل قرطبة (الحلفاء المتأخرون) إلى غاية سقوط الدولة سنة (422هـ/1031م) بعد عزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتد بالله وإجلاء ما تبقّى من المروانية عن قرطبة. وفي ذلك يقول ابن الخطيب:" **ومشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ولا يكنّهم أحدا**"[3].

[1]هو مُحَمَّد ابن عبد الله ابن أبي عامر مُحَمَّد ابن الوليد ابن اليزيد ابن الملك العامري من أهل قرطبة خضراوي الأصل أي جزيرة الخضراء، دخل جدّه عبد الملك مع طارق ابن زياد مولى موسى ابن نصير، وكانت وفاته بأقصى ثغور المسلمين بموضع يعرف بمدينة سالم سنة 393هـ، فكانت مدّة إمارته سبع وعشرين سنة. انظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، 287هـ. أبو عبد الله مُحَمَّد ابن مُحَمَّد عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، مُحَمَّد شريعة، بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ص313. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص84.

[2]أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 224.

[3]لسان الدين أبو عبد الله مُحَمَّد ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الأحكام، تح: أحمد مختار العبادي ومُحَمَّد إبراهيم الكتاني، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت)، ص135. أحمد مختار العبادي، نفسه، ص254.

المبحث الأول: السفارة قراءة في المفهوم

1- **تعريف السفارة ومشروعيتها.**

1-1- تعريف السفارة.

1-2- تعريف السفراء.

1-3- مشروعية السفارة.

2- **مفاهيم حول السفارة:**

2-1- مفهوم الرسول.

2-2- مفهوم البعثة.

2-3- مفهوم الوفد.

2-4- ديوان الرسائل.

3- **السفارة من خلال كتب السياسة والأحكام السلطانية:**

3-1- الماوردي.

3-2- ابن الفرّاء.

3-3- ابن الأزرق.

4- **معاملة السفراء:**

4-1- استقبال السفراء والرسل.

4-2- أوراق الاعتماد والطريق.

4-3- عقد الأمان.

تعريف السّفارة والسّفراء.

عرف العرب السفارة ونظامها وأسس عملها بينهم وبين الآخرين من القبائل والدّول المجاورة فدفعتهم الحاجة إلى تبادل الرسل والسفراء، بهدف إظهار حقيقة الطرف المرسل وتصحيح فهم وانطباع المرسل إليه. وإنّ المتتبع للتّاريخ الإسلامي يجد أن هناك اهتماما واضحا لاختيار الرّسل والسفراء والمبعوثين، ونظرا لهذه الأهمية البالغة التّي تكتسيها السفارة ارتأينا أن نتطرق إلى تعريف السفارة والسفراء وما يتعلّق بهما.

1- 1- تعريف السّفارة.

1-1-1-لغة:

السّفارة كلمة مشتقة من سفر، فالسين والفاء والراء أصل واحد و هي من السّفر وسمي بذلك لأن الناس يكشفون عن أماكنهم[1]، وهي مهمّة السفير[2]. وقال الفيروز آبادي: "**سفره تفسيرا أي أرسله**"[3].

السّفارة في اللّغة أصلها الإصلاح[4]، وقد استخدمها العرب بمعنى الرسالة أي التوجّه والانطلاق بغية التفاوض. وهي تمثل أيضا النيابة[5]، أي نيابة أحد أو شخص ما عن الملك أو الحاكم أو القوم.

ووردت كذلك لفظة السفارة في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[6].

---

[1] أبو الحسن أحمد فاس ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مج 3، (دط)، دار الفكر للنشر والطباعة، (دب)، (دت)، ص82 .

[2] هدي السيد مُحَمَّد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، (دب)، 2008م، ص99.

[3] مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 2005 م، ص407.

[4] أبو الفضل جمال الدين ابن كرم المصري ابن منظور، لسان العرب، مج4، (دط)، دار صادر،بيروت، (دت)، ص107.

[5] عبد الرحمان عنان، السفارة و دورها في تدعيم العلاقات الدولية، شهادة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في الشريعة والقانون ،عبد المجيد بوكركب، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008م، ص01.

[6] سورة عبس، الآية 38.

1-1-2- اصطلاحا:

تطلق السفارة على مقام السفير أي الدّار التّي يقيم بها وجمعها سفارات[1]، وهي أرقى وأرفع البعثات الدبلوماسية، يرأسها شخص برتبة سفير يعتمده رئيس دولة لدى دولة أخرى[2]. ولفظة السفارة في اللغة لا تكاد تخرج عن مفهومها الاصطلاحي، ويراد بها إيفاد شخص معتمد للقيام بمهمّة معيّنة [3].

1-2- مفهوم السفير:

1-2-1- لغة:

السفير هو الرسول المصلح بين القوم، ويقال سفرت بين القوم إذ سعيت بينهم في الإصلاح وسفِر بالكسرة أي أصلح[4]، والجمع سفراء وكان يطلق غالبا على المدنيين الذين يتولّون مهمّة السفارة عن الملوك والدول[5]. والسفير هو الشخص الذي يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين[6].

ويقال سفر بينهم ويسفر سفرا وسفارة[7]، يعني أصلح بينهم، وفي حديث "علي بن أبي طالب" قال "لعثمان ابن عفان":" **إن النّاس استفسروني بينك وبينهم**" أي جعلوني بينك وبينهم[8].

---

[1] عبد الرحمان عنان، المرجع السابق، ص01 .

[2] إيمان بومزبر، وردة رزاق لقرع، دور السفارات في ظل التحولات الراهنة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، حسين بهاز، جامعة قصدي الحاج ، ورقلة، 2012م، ص11.

[3] آمال سالم عطية، السفارات في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجريين (ق13-14م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، عبيد بوداود، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2015م، ص14.

[4] ابن منظور، المصدر السابق، ص370.

[5] هدي مُحَمَّد السيد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص99.

[6] ابن زكريا، المصدر السابق، ص82.

[7] ابن منظور، نفسه، ص371.

[8] عبد الرحمان عنان، نفسه، ص01.

1-2-2- اصطلاحا :

لقد اتفق الكثير من علماء القانون ورجال العلم السياسي على أن السفير هو أعلى مراتب السلك الدبلوماسي، وهو رئيس بعثة سياسية تعرف بالسفارة[1]، فالسفير هو الذي يتولى مهمة من دولة لأخرى. وبهذا المعنى فالسفير هو الرسول الذي تبعثه إحدى الدول لتحقيق أي غرض دبلوماسي[2].

1-3-مشروعيّة السفارة.

1-3-1- أدلة من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينْ﴾[3]. هذه الآية توضح أن الله عز وجل يخبر رسوله أنه بعث لكافة الناس أي دون تمييز[4].

وقال أيضا:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونْ}[5]. أي أنّ جميع الخلائق المكلّفين، ويقصد سبحانه وتعالى من هذه الآية أنّه أرسل رسوله لكافة الناس من العرب والعجم[6].

قال جلّ جلاله:" {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ}[7]. فلا يخفى أنّ عمل الرّسل والسفراء يندرج ضمن مفهوم التعارف وأنّ مهمّتهم هي الإصلاح وتمتين العلاقات والروابط بين الشعوب[8].

[1] عطية الله أحمد، القاموس السياسي، ط4، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م، ص644.

[2] جمال أحمد جميل نجم، أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، شهادة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفقه والتشريع، جمال حشاش،كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008م، ص12-13.

[3] سورة الأنبياء، الآية107.

[4] أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج3، ط1، دار الفكر، بيروت، 2002م، ص1234.

[5] سورة سبأ، الآية28.

[6] ابن كثير، نفسه، ج3، ص1529.

[7] سورة الحجرات، الآية13.

[8] جمال أحمد جميل نجم، نفسه، ص16.

وبطبيعة الحال فإنّ الرسول ﷺ لا يمكنه تبليغ رسالة ربّه لكل الأمة مباشرة، و لهذا كان لزاما عليه أن يبعث رُسلا وسفراء إلى مختلف الأمم لإيصال تعاليم ربّه. وهذا دليل على مشروعية إيفاد الرّسل والسفراء إلى مختلف الملوك و الحكّام[1].

1-3-2- أدلّة من السّنة النبوية:

أمّا من أدلّة السّنة النبوية فهي عديدة ومتنوعة، فالمبعوثين الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وحكّام زمانه كان يبعث معهم كتبا يدعوهم فيها للإسلام. وكان النبي ﷺ يستعمل الرّق في كتابة رسائله وكانت تكتب بالحبر الأسود ويختمها بختمه بأسفلها وكان الختم يحوي كلمة (مُحَمَّد رسول الله) مكتوبا من الأسفل إلى الأعلى[2]. أوفد الرسول ﷺ أول سفارة إلى ملك الروم هرقل، فبعث وفدا من من الصحابة على رأسهم دحية الكلبي ومعهم كتاب يدعو فيه هرقل إلى الإسلام، وصيغت فقرات الكتاب في أسلوب يحمل كلّ معاني حسن الجوار[3].

فجاء في هذا الكتاب:

"من مُحَمَّد رسول الله إلى هرقل عظيم ملك الروم، سلام على من اتّبع الهدى– أمّا بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يوتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأرسيين[4]، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئا ولا ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فأن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّ مسلمون"[5].

---

[1] أمينة حميدية، مليكة عليان، السفراء والدبلوماسيون في التاريخ الإسلامي ما بين القرنين (04هـ-06هـ/10م-12م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في العصر الوسيط، فاطمة الزهراء مالكي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة يحي فارس، المدية، (2015-2016م)،ص11.

[2] شفيق عبد الرزاق السامرائي، الدبلوماسية، ط1، المؤسسة الجامعية المفتوحة، طرابلس، 2002م، ص87- 88.

[3] إبراهيم العدوي، السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى، (دط)، دار المعارف، مصر، 1975م، ص70.

[4] كلمة الأرسيين ليست بعربية ومعناها فيما يبدو الرعايا العاديين. أنظر: مُحَمَّد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط5، ورشة المؤلف، القاهرة، 1997م، ص204.

[5] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج6، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1922م، ص367- 368. 368.

وكتب ملك الروم إلى النبي ﷺ رسالة: "**إلى أحمد رسول الله الذي بشّر به عيسى من قيصر ملك الروم، إنه جاء في كتابك مع رسولك وأني أشهد أنك رسول الله، نجد عندنا في كتاب الإنجيل، بشرنا بك عيسى ابن مريم، وإني دعوت الروم أن يؤمنوا**"[1].

كما بعث الرسول صلّى الله عليه و سلّم وفودا إلى كسرى ملك الفرس، و إلى النّجاشي ملك الحبشة وإلى كل جبّار يدعوهم إلى دين الله تعالى[2]. ولقد عُرف معاوية ابن أبي سفيان بحسن تعامله وعلاقته مع الآخرين فقد كان رجل دولة واسع الحيلة والدّهاء، إداريا و دبلوماسيا من الطراز الأول.وفي حديثه مع عمرو ابن العاص قال معاوية :"**لو أن بيني و بين الناس شعرة ما انقطعت**" فقال عمرو:" **كيف يا أمير المؤمنين؟**" فقال معاوية:" **إن هم شدّوها أرخيت وإن هم أرخوها شدّدت**" وهذا الحديث دليل على سياسة ودهاء معاوية[3].

فيروى أن الروم أرسل رسالة مع سفير إلى معاوية ابن سفيان فيقول فيها:" **أخبرني عمّا قبلة لا قبلة له، وعمّن لا عشيرة له، وعمّن سار به قبره، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم، وعن شيء ونصف ولاشيء، وابعث إليّ في هذه القارورة يبرز كل شيء** ". فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عبّاس أعظم الفقهاء المسلمين في ذلك الوقت ليجيب عن الأسئلة وردّ ابن عباس قائلا :" **أمّا من لا قبلة له فالكعبة، وأمّا من لا أب له فعيسى، وأمّا من لا عشيرة له فآدم، وأمّا من سار به قبره فيونس (النّبي الذي ابتلعه الحوت)، وأمّا ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم، فكبش إبراهيم، وناقة ثمود، وحيّة موسى، وأمّا شيء، فالرجل له عقل يعمل به، وأمّا نصف شيء رجل ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول، وأمّا لاشيء فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره** ".

ثم ملأ ابن عباس القارورة ماء وقال:" **هذا برز كل شيء وبعث معاوية بتلك الإجابة إلى قيصر الروم الذي أعجب إعجابا شديدا بعلماء الدولة الإسلامية، وسعة معارفهم**"[4].

[1] القلقشندي، المصدر السابق، ص368.

[2] أمينة حميدية، مليكة عنان، المرجع السابق، ص13.

[3] شفيق عبد الرزاق السامراني، المرجع السابق، ص107.

[4] إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص 21-22.

2- مفاهيم حول السفارة.

2-1- تعريف الرسول:

2-1-1- لغة:

هو المرسل الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذ من قولهم جاءت الإبل، أي المتابعة، وسمّي الرسول رسولا لأنه ذو رسول أي رسالة، فالرّسول تعني الرّسالة أيضا[1].

وجاء في القاموس المحيط: الإرسال، التسليط، والإطلاق والإهمال والتوجيه[2]. أي كان الرّسول يسلّط ويوجّه من أرسل إليه لأداء مهمّته وعمله[3].

2-1-2- اصطلاحا:

تختلف معاني الرسول بحسب العمل الذي يقوم به الفرد، فربما كان صاحب رسالة سماوية كالأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وربما كان الرسول لعقد صفقة تجارية، وهو الوسيط التجاري، وربما كان في مهمة خاصة بين دولتين أو ملكين[4]. ومن ثمّ فالرسول هو الشخص الذي يتمّ تكليفه بتوصيل وحمل الرسالة إلى شخص آخر، ويشترط عادة في حمل الرسالة الأمانة والثقة والقوة وتوصيل ما أؤتمن عليه[5].

2-2- تعريف الوفد:

وهي تدلّ على الإشراف والطلوع[6]، ومنه الوافد أي القوم: القوم يفدون، ويقال وفد فلان يفدوا فادة، إذ خرج على الملك أو الأمير أي ورده رسولا، فهو وافد[7]. وقد ورد مصطلح الوفد في قوله تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا}[8].

---

[1] هدي مُحَمَّد السيد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص91.

[2] الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص1006.

[3] جمال أحمد جميل، المرجع السابق، ص2008.

[4] جمال أحمد جميل، المرجع السابق، ص12.

[5] هدي مُحَمَّد السيد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص91.

[6] ابن زكرياء، المصدر السابق، ج6، ص129.

[7] آمال سالم عطية، المرجع السابق، ص15.

[8] سورة مريم، الآية85.

2-3- تعريف البعثة:

كان المسلمون هم الأوائل في إرسال البعثات التي تستمر طويلا لدى الدول الأخرى، فقد كانت بعض السفارات تستمر سنتين أو ثلاث سنوات وكانت بعض السفارات الأجنبية تقيم في الدولة الإسلامية مثل هذه المدة[1]. فقد استمرت السفارات التي أرسلها ملك الإفرنج "بِين" إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة (148هـ/756م) وقتا طويلا، حيث أقامت هذه السفارة ثلاث سنوات في بغداد[2].

أمّا سفارة هشام ابن هديل التي أرسلها للخليفة عبد الرحمان الناصر إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين فقد دامت سنتين، ويتوقف عدد المبعوثين على طبيعة العلاقة بين الدولة الموفِدة والدولة الموفَد إليها من حيث القوة والضعف وتشابك المصالح أو قلّتها، وفي كثير من الأحيان لا تكون لهذه البعثة رئيس بدرجة سفير، وإنما يتولى إدارتها مَن هو أقلّ منه مرتبة وأحيانا يرأسها سفير غير مقيم، أي أنّه يقيم في بلد مجاور أو قريب من الدولة التي بعثته[3].

3-4- ديوان الرسائل:

يعتبر ديوان الرسائل من أهمّ دواوين الدولة الإسلامية، وسمي بديوان الرسائل تسمية له بأشهر وظائفه وهي إصدار الرّسائل ويسمى أيضا بديوان المكاتبات أو ديوان الوثائق، وقد أطلق عليه فيما بعد اسم ديوان الإنشاء[4]. وقد أشار إلى هذا القلقشندي في قوله:" **وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه، لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمّها وربما قيل ديوان المكاتبات، ثم غلب إليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن**"[5].

---

[1] جمال أحمد جميل، المرجع السابق، ص84.

[2] مُحَمَّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص210-211.

[3] جمال أحمد جميل، المرجع السابق، ص84 وما بعدها.

[4] سليمان الرحيلي، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية سفارات الدولة العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس، (دط)، مكتبة التوبة، الرياض، 1414هـ، ص36.

[5] القلقشندي، المصدر السابق،ج1، ص91.

كانت ولايته تستند لكتاب عرفوا بسعة الأدب وبلاغة اللسان، وفصاحة البيان، بل كان يشترط في صاحبه أحيانا جمال الصورة ورفعة النسب وحدّة الذكاء وصدق الحسن ولطف المذاهب وحلاوة الشمائل[1]. وقد وصف القلقشندي مكانه صاحب ديوان الرسائل:" **ليس في منزلة خدمة صاحب السلطان والمتصرّفين في مهامته أخص من كاتب الرسائل، فإنه أول داخل الملك هو آخر خارج عنه ولا غنى عنه في مفاوضته في أرائه، والإفضاء إليه بمهاته وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلوته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته، فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إليه قريب ولا نسيب ركون إليه**"[2].

وكان يُلقّب صاحب هذا الديوان في الدولة الفاطمية بكاتب "الدّست"، وقد وصف القلقشندي منزلته في الدولة قائلا:" **وكان هذا المنصب لا يتولّاه في الدولة الفاطمية إلا أجل كتاب البلاغة، ويخاطب بالأجل، وإليه تسلّم المكاتبة واردة مختومة، فيعرضها على الخليفة من يده، وهو الذي يأمر بتنزيلها والإجابة عنها وربما بات عند الخليفة ليالي، وهذا الأمر لا يصل إليه غيره**"[3].

3-السفارة من خلال كتب السياسة والأحكام السلطانية.

لقد سبق المسلمون غيرهم في اختيار الرسل والسفراء، فقد جرت سنة الرسول ﷺ في اختيار الرسل من أصحابه وبني عمومته، وكان للملوك الأولين من العرب والعجم في هذا الباب استقصاء عجيب ونظر دقيق وامتحان كبير، فقد تناولت كتب السياسة والأحكام السلطانية صفات اختيار الرسل والسفراء، نذكر منهم :

3-1- الماوردي:

جعل مهمة اختيار السفير من مسؤولية الحاكم فيقول:" **أن يتفقّد أمر رسله فلا يرسل إلاّ من يرضى أن يكون صورته عند عدوّه، ولسانه ناطقا بحضرته، فلا يختار لرسالته إلا رائع المنظر كامل المخبر، صحيح العقل حاضر البديهة ذكي الفطنة فصيح اللّهجة جيّد العبارة، ظاهر النصيحة موثوقا بِدينه وأمانته من حسن الاستماع والتأدية، كتوما للأسرار عفيفا عن الأطماع، غير منهمك**

[1] سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص36.

[2] القلقشندي، المرجع السابق، ص101.

[3] نفسه، ص102-103.

في الفواحش والسكر والشرب. فإن في كل هذه الخلال عوائد نفعها على الملك والمملكة إذا وجدت في الرسول وفي أضدادها ضرر عليهما "[1].

واختيار الرسول على ما تبيّن أولاّ مأخوذ عن الله عزّ وجل، الذي لم يبعث رسولا من الملائكة إلاّ أفضلهم أي أنّ الله لم يبعث رسولا مهتوكا ولا فاسقا ولا ضنيّا ولا ماجنا ولا متّهما، بل اختار لكلّ رسالة أفضل أهل زمانه آمنهم وأعّفهم أقواهم قلبا وأصبرهم نفسا وأكرمهم خلقا. وذكر أيضا أنه من شروط اختيار السفراء على الملك، إذا وجّه رسولا أن يردفه بآخر، فإن وجّه رسولين أتبعهما باثنين، وإن أمكنه أن لا يجمع بين الرسولين في الطريق فلا يلتقيان ولا يتعارفان. ثمّ عليه أن يأتيه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شرّ، وأن لا يحدث فيها حدثا حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له كتابه أيضا، حرفا حرفا ومعنا معنى ،فإن الرسول ربّما ما أملّ فافتعل على الملك وحرّض المرسل على المرسل إليه وأغراه به وكذب عليه. و قد كان الملوك الأوائل من يرسل على رسله العيون ثمّ يقابل مايأتي به العيون بما تأتي به الرسل، فإن وجد بينهما خلل عاقب المرسل و هذا باب عظيم[2].

ويقوم السفير بأعمال تنفيذية تشبه وزارة التنفيذ كما سمّاها فقهاء السياسة الشرعية، يقول الإمام الماوردي: "**الوزارة على ضربين: وزارة تفويض ووزارة تنفيذ، فأمّا وزارة التفويض فهي أن يستوزر الإمام من يفوّض إليه تدبير الأمور برأيه و إمضائها على اجتهاده ،و ليس يمتنع جواز هذه الوزارة، و أمّا وزارة التنفيذ فحكمها أضعف و شرطها أقل ، لأن النظر فيها مقصور على رأي الإمام وتدبيره،وهذا الوزير وسط بينه و بين الرعايا و الولاة يؤدي عنه ما أمر و ينفذ عنه ما ذكر ويمضي ما حكم...فإن شورك في الرأي كان باسم الوزارة أخص، وإن لم يشارك فيه كان باسم الوساطة والسفارة أشبه**".

ومن خلال ما ذكر الإمام الماوردي في هذا النص فإن السفير يقوم بتنفيذها يوكله به الإمام وهو بالضرورة مطلّع على أسرار الدولة وله ولاية سواء كان سفيرا أو رئيس البعثة [3].

---

[1] أبي الحسن علي ابن مُحَمَّد ابن حبيب الماوردي، نصيحة الملوك، تح: الشيخ خضر مُحَمَّد خضر، ط1، مكتبة الفلاح، (دم)، 1983م،ص276.

[2] الماوردي، نفسه، ص278.

[3] نفسه، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة،كويت،1989م، ص34.

3-2-ابن الفرّاء :

قسّم ابن الفرّاء صفات الرسل إلى صفات عقلية وجسمية، أما الصفات العقلية فيقول:"**اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظراتك والنيابة عنك فصيحا، بليغا،حولا قلبا، قليل الغفلة منتهز الفرصة ذا رأي جزل و قول فصل، ولسان سليط قلب حديد، فطنا للطائف التدبير ومستقلا لما ترجو أو تحاول بالحزامة وإصابة الرأي، ومتعقبا له بالحذر والتمييز، ساميا إلى ما يستدعيه إليك و يستدفعه عنك...جامعا مع هذا العلم الفرائض والسنن والأحكام والسّير، ليحتذي مثال من سلف فيها يورده و يصدره، عالما بأحوال الخراج و الحساب وسائر الأعمال ليناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه** "[1].

يجمل ابن الفرّاء من هذا النص كل ما ينبغي أن يكون عليه السفير والرسول من الفصاحة والفنطة، وإصابة الرأي وقوة الحجّة، ليس هذا فحسب بل يجب أن يكون ملمّا بالعلوم والمعارف من بينها علوم الرياضيات التاريخ، السنّة، الأحكام والأخبار وأن يكون على دراية بمن سبقه من السفراء والرسل. ويقول أيضا:" **ليكن من أهل الشرف والبيوتات ذات الهمّة العالية، فإنه لا بد من مقتف لآثار ولايته، محب لمناقبها، مساند لأهله فيها ... ولذلك يجب على السائس أن يجتهد في تخيره لهذا العمل (أي السفارة) ويستقبله ويجريه على وجهه، ولا يحتمل متوليه على تقصير يقع منه فيعرض أمر السلطان لوقوع الخلل والانتشار فيه**"[2].

ومن هذا النص نستنتج أن السفير يكون ذا نسب رفيع عرف لأهله بالصلاح فلا بد أن يتناسب بهم ويقلد أصحاب اللسان منهم، ومسؤولية اختيار السفير تقع على الإمام لأنه الناطق باسمه فأيّ تقصير في أداء المهمة سيسيء إلى السلطان الذي أرسله وربما أفسد عليه مآربه، أمّا الصفات الجسمية فكان يقول:" **يستحب في الرسول تمام القدر وعبالة الجسم، حتّى لا يكون قميئا ولا ضئيلا. وإن كان المرء بأصغريه، ومخبوءا تحت لسانه. ولكن الصورة تسبق اللسان، والجثمان يستر الجنان...فكان الملوك أرادت أن تستجمع هذه الفضائل على مراتبها في رسلها حسن الاسم والخلق**

[1] أبو علي الحسين بن مُحَمَّد ابن الفراء، رسل الملوك وما يصلح للرسالة والسفارة ، تح: صلاح الدين المنجد ، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1972م، ص33-34 .

[2] نفسه، ص34.

والبيان". ويقول أيضا:**"ليكن الرسول صحيح الفطرة والمزاج ذا بيان وعبارة، بصيرا بمخارج الكلام ووجوهه، مؤيدا لألفاظ الملك ومعانيها، صدوق اللهجة لا يميل إلى الطمع، حافظا لما حمل و على الملك أن يمتحن رسوله محنة قبل أن يجعله رسولا ... فأوّل ما يبتدئ به من محنته أن توجهه رسولا إلى بعض خاصة الملك و من في قرار داره في رسائلها، ثمّ تقدم عينها لها عليه يحفظ رسالته يكتبها على نص كلام ومعانيه، فإذا رجع الرسول بالرسالة وجاء العين بما كتب ألفاظه قابل بها الملك ألفاظ الرسول فإن اتفقت معانيها عرف الملك صحة عقله و صدق لهجته،ثم جعله الملك رسولا إلى عدوّ له "**[1].

3- ابن الأزرق :

لقد أشار ابن الأزرق إلى الرسالة وما يلزمها من رعايات، فيقول:**"تحقق أن موقع الرسول من السلطان موقع الدليل من المدلول والبعض من الكل "**[2]. فالرسول يدل على عقل من أرسله أنه فيما لا يرى، وأذنه فيما لا يسمع، ولسانه عندما غاب عنه، فهو قطعة المرسل.

اتقاء التساهل في اختيار الرسول، فمن يريد اختيار الرسول يختاره في الحرب والسلم، فإن الرسول يلين القلوب ويخشنها، و يبعد الأمور ويقربها، ويصلح الود ويفسده. وامتحان الرسول يكون قبل ترشيحه للرسالة فيحق للملك أن يمتحن من أراد ترشيحه ليصبح رسولا إذ يمتحنه امتحانا طويلا، قبل أن يجعله رسولا ويرسله إلى بعض خاصّته مع مراقبته، فإن نجح في هذا الإمتحان وعلم بصدق لهجته، جعله رسولا إلى عدوّه وتبقى العين عليه فإن اتفقا فيها رجعا بها، وعلم بصدق رسوله وجعله رسولا إلى الملوك والأمم ووثق به وأقام له بعد ذلك مقام الحجة .

إرداف الرسول بثان أو ثالث ورابع إن كان اثنين، و إن لا يجمع بين رسولين في الطريق ولا ملاقاته ولا يترافقا فيتوافقا. تعلّم الرسول ما يجب عليه شرعا وسياسة، وما يحتاج إليه من أدب الخطابات وأجوبة المحاورات وما يحل من الضيافات والهدايا وما يجب عليه رعايات النصيحة، وتوخّي الغش والخداع والنفاق والحذر من التثبت في المقدّمات.

[1] ابن الفراء، المصدر السابق، ص 47.

[2] أبو عبد الله ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، ج2،ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م، ص541.

أمّا الوفود للسياسة الفاضلة بهم عنايات :

احتفال السلطان بلقائهم بإظهار الزينة للملك وجماله، فقد كان النبي ﷺ يتجمل بها للوفود والعظماء، وإكرام من يرد عليه من قومه[1]. فعندما وفد عليه زيد الخيل قام الرسول ﷺ ببسط ردائه وأجلس عليه و قال في ذلك:" **إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه** "، حسن الإقبال عليهم بالتلطف لهم في الخطاب تأنيسا لهم وإدلالا، فكان الرسول ﷺ رفيقا بالوفد القادم كثير الترحيب بهم فضلا من الإذن للذي يريد التحدث، لما كان بمنزلة عالية بين قومه وهو أهل للحديث ناهيك من إفاضته. على وفد التهنئة من يدخل السرور عليهم و المبالغة في الترحيب بهم، وهي كما قيل سنّة الملوك الحسنة وكأنها في معرض شكر الله تعالى بإدخال المسرّة على خلقه[2].

4- معاملة الرسل والسفراء.

4-1-استقبال السفراء والرسل:

اهتم المسلمون بمراسيم استقبال السفراء والرسل، فكانوا يظهرون الزينة للملك وجماله، وهي الإجراءات التي كان يقوم بها الرسول صلّى الله عليه وسلم فكان يتجمّل للقادمين من وفود وعظماء ويحسن المقابلة والتلطف لهم في المخاطبة كثير الترحيب بالوفد[3]. وكانت مراسيم الاستقبال تبدأ منذ دخول السفراء حدود الدولة الإسلامية، إذ يقدم عمال الدولة الإسلامية لأولئك السفراء كل الترحيب وينزلون في مساكن تليق بهم، ويتولون الإنفاق عليهم من مأكل ومشرب، بحيث تصير إقامتهم هنية رغدة، كما يخصصون للسفراء الأدلاّء ليسيروا معهم عبر الطرقات حتى يصلوا إلى دار الخلافة في العاصمة.

[1] ابن الأزرق، المصدر السابق، ص545.

[2] نفسه، ص547.

[3] إبراهيم محمّد آل مصطفى، سفارات الأندلس إلى مماليك أوروبا المسيحية الكاثوليكية ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2013م، ص59- 60.

وعندما يقترب ركب السفير من عاصمة الدولة الإسلامية يأمر الخليفة بإعداد مركب عظيم من الناس لاستقباله، يظم الولاة والفقهاء، ويتصدّره كبير موظفي الدولة. وبدخول عاصمة الخلافة ينزل في مكان خاص أشبه بدار الضيافة، كان يُعرف ببغداد" دار صاعد"[1].

وبعد أن يستريح السفير يوما أو يومين من عناء السفر يلتمس مقابلة الخليفة، وحدثت عادة الخلفاء على عدم استقبال السفراء مباشرة، ولكن بعد مقابلة الوزير إذا كان لابدّ من مقابلته ومخاطبته فيما قصد السفير إليه وتقرير الأمر قبل مقابلة الخليفة. وكانت تلك المقابلة التمهيدية وسيلة لمعرفة أحوال البلاد التي وفد منها السفير والوقوف على سيرة ملوكها[2].

وفي عصر الدولة الأموية في الأندلس فقد كان هناك اهتمام واضح بالسفراء والوفود وإكرامهم وتقديم الهدايا للسفير ومن كان بمعيّته، وتبدأ مراسيم الاستقبال للسفير أو سفراء الدول إلى حدود الأندلس ولا يتم مقابلة الخليفة مباشرة ولو تطول الفترة أو تقصر حتى يأمر الخليفة بالمقابلة، ويظهرون مظاهر الزينة والآلهة ويتم حضور مراسيم استقبال الرسل والسفراء أقارب وحاشية الخليفة فضلا عن القادة والجند المسؤولين في الدولة[3]. ولإبراز مظاهر الاستقبال نذكر نموذج من سفارات الدولة الأموية في الأندلس، ففي سنة (336هـ/947م) وفدت إلى قرطبة رسل إمبراطور الروم قسطنطين الأول ابن ليون صاحب القسطنطينية وهديته، ويقول في ذلك ابن خلدون: "**واحتفل الناصر للقائهم في يوم مشهود، وكتب فيه العساكر بالسلاح في أكمل هيئته وزيّه وزيّن القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور، وحمّل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والأخوة والأعمام والقرابة، ورتب الوزراء والخدمة مواقفهم، ودخل الرسل فمالهم مارأوا وقربوا حتى أدّوا رسالتهم...**"[4].

أما المقري فروى في طريقة الاستقبال:" **وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلقي وأفخمه، وأحسن القبول وأكرمه، وأخرج إلى لقائهم ببجانة**"[5].

---

[1] إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص52.

[2] نفسه، ص52- 53.

[3] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص69.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ض ومر: خليل شحادة وسهيل زكّار،ج4،(دط)، دار الفكر،بيروت،2000م، ص183.

[5] المقري، المصدر السابق،ج1، ص366.

4-2- أوراق الاعتماد والطريق:

حرصت الدولة الإسلامية على تزويد سفرائها بتلك الأوراق واهتمت بتقديره عند السفراء القادمين عليها، واستعراض تلك الوثائق الهامة في حفل الاستقبال الذي يعدّ للسفير[1]. وكانت أوراق الاعتماد عبارة عن كتاب صادر عن الخليفة به تعريف بالسفير والغرض من رسالته، ويُطلب من أولى الأمر الوافد عليهم السفير اعتماده في أقواله وأفعاله[2]، كما أن هذه الأوراق تسير في تنقلاته بدءا من انطلاقه من عاصمة دولته أو أي مدينة يستقر فيها الحاكم الذي بعثه، مرورا بنقاط الحدود بين دولته والدولة الموفَد لها ثم دخوله عاصمتها وعودته إلى بلاده، وتصدر هذه الأوراق من ديوان الرسائل.

ولا يحمل هذه الأوراق إلا الأشخاص الموفَدون من طرف الخلفاء إلى الدول والإمارات الأخرى، وتشابه أوراق الاعتماد التي يحملها الرسل بين الحكام في مادتها فقد كانت التقاليد المتبعة في كتابة أوراق الاعتماد وتصاريح العبور أن تكتب على أجود أصناف الورق المعروفة في ذلك الوقت، فضلا عن تدبيجه في أوضح العبارات وتزويقه بجميل الخط والشكل[3].

وتكتب هذه الأوراق بلغة بلد السفير أو تشفع بترجمة لغة الموفد لها، حتى إذا ما دخل أراضيها لقي من التسيير والمساعدة مثلما لقيه أثناء جوازه أقاليم دولته، وجرت العادة أن تكتب أوراق الاعتماد على الورق البغدادي وهو من أجود الأنواع، لأنه ورق خشين مع ليونة ورقة الحاشية ويخصص لكتابة المصاحف، ولا يستعمل فيما عدا ذلك من أغراض الكتابة سوى مكاتبة كبار الملوك[4].

أمّا أسلوب الرسائل فقد كان فصيحا واضحا تختلف عباراته حسب الدولة الصّادر منها ومكانة الإمبراطور الموجة إليه ولكنها لا تخلو في الغالب من عبارات الثناء والتمجيد والمجاملة للأباطرة أي كانت مكانتهم وتذكيرهم بالعلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين أجدادهم وبين المسلمين في بعض الأحيان، وقد بولغ في مثل هذا الثناء في العصور المتأخرة.

ويشار في آخر الرسالة أحيانا إلى اسم السفير الذي يحملها ومكانته في دولته وذكر الهدايا التي يحملها للإمبراطور، وتذيل بتوقيع الخليفة سواء بعبارة بليغة أو وضع بصمة خاتمه الذي يحمل اسمه،

---

[1] إبراهيم العدوي،المرجع السابق ، ص43.

[2] إبراهيم محمّد آل مصطفى،المرجع السابق، ص71.

[3] سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص42.

[4] نفسه، ص43. إبراهيم العدوي، نفسه، ص44.

فإذا انتهى من كتابتها طويت على هيئة قصبة ووضعت في درج من الذهب أو الفضة أو المعدن المنقوش[1].

وقد اعتنت الدولة البيزنطية بنوعية ورق الاعتماد ويتضح ذالك بكتاب ملك الروم إلى عبد الرحمان الناصر، فأرسل قسطنطين ملك الروم إلى عبد الرحمان الناصر بالأندلس كتابا خاصّا باعتماد سفير، وكان الخطاب في رق مصبوغ ذي لون سماوي ومكتوب بالذهب بالخط الإغريقي، كما وضع الكتاب طابع من ذهب يزن أربعة مثاقيل، وعلى الوجه منه صورة المسيح وعلى الوجه الآخر صورة الإمبراطور قسطنطين وولده أرمانونس وكان الكتاب داخل درجة فضة منقوش عليها غطاء ذهب[2].

وحرصت الدولة الإسلامية على ذكر ألقاب السفير مع بيان ما إذا كان من النبلاء أو من كبار رجالات الدولة وذلك تقديرا منها لاستقبال أحسن استقبال، وتجنب بذالك سفرائها سوء المعاملة، وكان يذكر في أوراق الاعتماد المدة التي سيقضيها السفير في مهمته سواء أكانت مدّة طويلة أم قصيرة، حتى لا يستغل السفراء الإكرام والحفاوة في أغراض تتنافى مع عملهم[3].

إن أوراق الاعتماد تتشابه إلى حدّ ما مع جواز السفر الحالي ويتضمن اسم السفير وصفته والجهة التي يقصد إليها، وذلك مع بعض الاختلاف فالجواز الإسلامي يتضمن طلب إكرام السفير وتسهيل تنقله أو حمله على خيول البريد التي كانت أسرع وأحسن وسائل المواصلات، وهي أمور جعلتها المدينة الحديثة أشياء لا داعي لذكرها في جواز السفر[4].

4-3- عقد الأمان:

الأصل في عقد الأمان قوله تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونْ}"[5]، في هذه الآية نداء من الله عز وجل إلى نبيه عليه الصلاة

[1] سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص39-40.

[2] المقري، المصدر السابق،ج1، ص368.

[3] إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص46.

[4] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص72.

[5] سورة التوبة، الآية06.

والسلام، باستجابته لمن يطلب الأمان وذلك حتى يسمع كلام الله فتقيم عليه الحجة وهو آمن مستمر الآمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه[1].

ويقول السرخسي:" **إذا وجد الحربي في دار الإسلام فقال أنا رسول الملك، فإن أخرج كتابا عرف أنه كتاب ملكهم كان آمنا حتى يبلغ رسالته ويرجع، لأن الرسل لم تزل آمنة في الجاهلية والإسلام ولا من أمر قتال والصلح لا يتم إلاّ بالرسل فلا بد من أمان رسل ليتوصل إلى ما هو المقصود،ولما تكلم الرسول بين يدي النبي صلي الله عليه وسلم بما كره قال "لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك "وفي هذه دليل أن الرسول آمن حتى ولم يتمكن من إقامة البينة على أنه رسول فلو كلفناه ذلك أدى إلي الضيق والحرج وهو مدفوع فلهذا يكتفي بالعامة والعامة أن يكون معه كتاب يعرف أنه كتاب ملكه، فإذا أخرج الكتاب فالظاهر أنه صادق والبناء على الظاهر واجب فيما لا يمكن الوقوف على حقيقته"**[2].

وقد حظي الرسل والسفراء في الدولة الإسلامية بحماية ورعاية لم يحظ بها أقرانهم في الدول الأخرى[3]، حيث أعطت للسفراء القادمين إليها ومن كان بمعيّتهم الأمان والحصانة خلال إقامتهم في أراضي الدول العربية الإسلامية، حتى يعودوا إلى أوطانهم ولا يصيبهم أذى إذ تصان أموالهم وأمتعتهم[4].إنّ هذا الأمر التزم به المسلمون خلال حكمهم حتى مع خصومهم[5]، ولم يكن التزاما بحكم العادة والعرف وكفى بل كان التزاما من الله تعالى الذي أمر المسلمين حكاما ومحكومين بعدم الغدر والحفاظ على الأهل وتبليغ المأمن[6].

ولم يذكر التاريخ حادثة عاملت بها الدولة الإسلامية الوافدين إليها من السفراء معاملة تخرج عن العادة أو التقليل من شأنها، وقد أكدت النصوص الفقهية الإسلامية والعرف الإسلامي كذلك على هذا الأمان، حتى صار السفراء الوافدين على الدولة الإسلامية ينعمون بالطمأنينة، فقال الفقهاء المسلمون:

---

[1] جمال أحمد جميل، المرجع السابق، ص18.

[2] شمس الدين السرخسي، المبسوط، ج10، (دط)، دار المعرفة، بيروت، 1989م، ص92.

[3] جمال أحمد جميل، نفسه، ص107.

[4] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص75.

[5] نفسه، ص75.

[6] جمال أحمد جميل، نفسه، ص108.

"إنّ الولاة إذا ما لقوا رسولا يسألونه عن اسمه، فإن قال أن رسول الملك بعثني إلى ملك العرب وهذا كتابه معي، وما معي من الدواب والمتاع والرقيق فهدية له ،فإنه يقصد إلى سبيل عليه ولا يعترض لهم ولا لما معهم المتاح والسلاح والرقيق والمال ..."[1].

وقد احترمت الدولة الإسلامية جميع حاشية السفراء وأتباعهم على اختلاف درجاتهم، حتى خدمهم وعبيدهم، فبسطت الدولة الإسلامية حصانتها إلى سائر أتباع السفراء واعتبرت أيّة إهانة تلحق بأحدهم كأنما هي إهانة موجهة إلى شخص السفير نفسه[2]. فقد كانوا أمثالا يحتذى بهم في احترام الرسل والسفراء وتقديرهم، فهذا هو الخليفة العباسي المأمون يستقبل رسول الملك (ليون)، فبادر السفير إلى النطق بعبارات نابية فيها قذف وشتم للمأمون، ومديح وإطّراء لملك الروم وبعد ترجمة الخطبة للعربية التي ألقاها المبعوث، أشار المأمون إليه أن يشرح موضوع مهمّته وهو يبتسم دون أن يلحق به أيّ أذى[3].

أما الوفود والسفارات القادمة إلى أُموي الأندلس كانت لها حصانات وحقوق يرعاها السلطان في قرطبة، وعندما تصدر إساءة من الوفد أو السفير ويخرج عن الأصول التي يجب أن يتصف بها، يقوم السلطان بإفهامه بأنه سفير ولولا صفته كسفير لعوقب. وقد حصل لرسل وصية الملك ليون حلويزة عندما أساؤوا في حضرة الخليفة الحكم المستنصر بالله[4].

يتّضح من خلال ما سبق أنّ المسلمون كانوا يختارون السفراء والرسل وفق معايير محددة، والمتمثلة في الصفات الجسمية والخلقية والثقافية،كما اهتموا بمراسيم استقبال السفراء، والحرص على حمايتهم ورعايتهم حتى يعودون إلى أوطانهم ولا يصيبهم أذى.

[1] إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص47- 48.

[2] نفسه، ص48- 49.

[3] جمال أحمد جميل، المرجع السابق، ص108- 109.

[4] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص76.

المبحث الثاني: السفارات في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية

1-السفارات بين الدولة الأموية ودويلات العالم الإسلامي:

1-1- دولة الأدارسة.

1-2- دولة بني مدرار.

1-3- دولة الأغالبة.

1-4- دولة الرستميين.

2-السفارات بين الدولة الأموية ودول العالم المسيحي.

2-1- بيزنطا.

2-2- فرنسا.

2-3- إسبانيا النصرانية.

2-4- النورمان.

1 –السفارات بين الإمارة الأموية في الأندلس ودويلات المغرب الإسلامي.

ظلّت العلاقات بين الإمارات المغربية والإمارة الأندلسية تتأرجح بين الود والصداقة من مسالمات ومجاملات، وبين البرودة والتوتّر حسب الظّروف والفترات، وتمّ هذا التّقارب بالرغم من المفارقة في المذهب والبعد الجغرافي ذلك أن المصالح السياسية سمت على الاختلاف المذهبي.

1-1 – دولة الأدارسة:

بدأت العلاقات الإدريسية[1] مع أموي الأندلس في عصر الإمارة، بإرسال الحكم ابن هشام[2] بسفارة إلى المولى إدريس الثاني، لتهنئته بالعرش ومحادثته في أمر مهم، وهو أن يكونوا يدا واحدة ضدّ خصومهم الأغالبة، الذين بدأت المعارك تحتدم بينهم وبين الأدارسة حتّى يتمكّنا من إفراغ حصيلتهم الهائلة من الكراهية اتجاه هؤلاء الأغالبة الذين باتوا يهددّون أمنهم بتحريض من خلفاء بغداد. فيبدوا أنّ الحكم ابن هشام أراد أن يستغل فرصة عداء الأدارسة للدّولة العباسية وأمراء القيروان، لأن كل من الأمويين في الأندلس والأدارسة في المغرب الأقصى يشتركون في عداء بني العبّاس[3].

[1] مؤسسها إدريس ابن عبد الله ابن الحسن المثنى ابن الحسن البسط ابن علي ابن أبي طالب ﷺ، فرّ من واقعة فخ، ولحق بالمغرب الأقصى هو ومولاه راشد فنزل وليلي، وبويع من يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة اثنين سبعين ومائة، وكان أول من بايعه قبائل أوربة بعد ذلك زناته وأخرى من قبائل البربر مثل زواغة ومكناسة وغيرهم. انظر: أحمد بن خالد السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، (دط)، مكتبة نبراس التاريخية، (دب)، (دت)، ص67. علي ابن عبد الله ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (دط)، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص20.

[2] تولّى الحكم بعد وفاة أبيه هشام الرضا في صفر سنة ثمانين ومائة وكانت ولايته ستّا وعشرين سنة وإحدى عشر شهرا ومات يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين، وهو ابن اثنين وخمسين سنة. انظر: أحمد بن أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترجيني، ج5، ط1، دار الكتب العلمية بيروت ، 1983م، ص232.

[3] عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية للدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة 1999م، ص91.

رغم ما تميّزت به العلاقة من الودّ والصداقة بين العاملين الأندلسي والعلوي، إلاّ أنّ التقارب لم يدم طويلا بعد أن استقبل المولى إدريس الثاني المنفيين الربضيين[1]. حيث أوقع بهم الإمام الحكم ابن هشام وأجلاهم عن الأندلس إلى العدوة فصعدوا إلى مدينة فاس وكانوا ثمانية آلاف بيت[2]. استقرّت الجالية من هؤلاء الربضيين في أوّل الأمر بين القبائل البربرية في جبال الريف شمال المغرب وكان المولى إدريس الثاني يحتاج إلى سكّان يعمّرون المدينة الحالية الّتي هي مقابلة لمدينة والده فاس والّتي لا يفصلها عنها سوى نهر صغير يُعرف بواد فاس وهو متفرّع من واد سبو، لذا رحّب إدريس الثّاني بقدوم هؤلاء المهاجرين الربضيين الأندلسيين ولاسيما أنّ معظمهم كانوا من أهل الحرف والصناعات فأعطوا للمدينة طابعا أندلسيّا جميلا. وهكذا سيطر الأندلسيون على مدينة فاس لدرجة أنها سمّيت باسمهم وعرفت بمدينة الأندلس[3].

فقد حرص أمراء قرطبة على إقامة علاقات وطيدة مع الدول المجاورة للأدارسة بهدف تطويقها حتى لا تشكّل خطرا عليها ولا يتسرّب نفوذهم إلى المناطق الأخرى. ويقول في ذلك ابن حيّان:"**كان الأمير مُحَمَّد كثير المواصلة لملوك العدوة حريصا على استئلافهم، مواليا لمراسلتهم مواظبا لمتحفاتهم... يقول لوزرائه كثير وخدمته، استدعوا مؤلفاتهم بلطيف المخاطبة... ويأمر صاحب العمل دأبا أن يزيدهم في قيم ما يهديه كبارهم ويحمل تجارتهم من بلادهم غيضا لهم بمعاملتهم**"[4].

[1] نسبة إلى الربض، كلمة تعني الضاحية أو الحي وجمعها أرباض، لما ولي هشام ابن عبد الرّحمان أعاد بناء الجسر الرّوماني القديم الممتد من على نهر الوادي الكبير ليربط المدينة بضواحيها الجنوبية وقد عرف بجسر قرطبة فنشأ فيها حي آهل بالسكّان عُرف بالربض وقد امتدّ هذا الربض من ضفة النهر جنوبا حتى بلدة شقندة. سكنها التجّار وأهل الحرف والطلبة والفقهاء ومعظمهم من المولّدين قاموا بثورة ضدّ الحكم ابن هشام تمكّن من إخمادها، وهدم الربض وأسر ما تبقّى منهم بترك البلاد، لهذا اضطرّ عدد كبير من الربضيين إلى مغادرة الأندلس عقب فشل ثورتهم، ولهذا أصبح اسمه مقترنا بهذا المكان فسمّي الحكم بالرّبض. انظر: أحمد المختار العبادي، المرجع السابق ، ص 121،123.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص47.

[3] أحمد المختار العبادي، نفسه، ص123-124.

[4] محمود إسماعيل، الأدارسة حقائق جديدة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1997م، ص156-157.

1- 2 – دولة بنو مدرار:

لم تكن هناك علاقة واضحة بين الأمويين في الأندلس وبنو مدرار[1] في سجلماسة، بل انتظر بنو مدرار بعض الوقت حتّى أيّام الخليفة مُحَمَّد الأول[2] لكي يحكمون صلاتهم مع الأمويين، كما أنهم كانوا مرتبطين في بعض الظروف المتعلقة بالخلافة العباسية في بغداد.حمل المدراريون معهم إلى الأمويين هدايا طريفة وكانت الزرافة من أغرب ما رفعه أمير سجلماسة، الذي كان أوصل ملوك العدوة بحبل الخليفة وأدومهم على مهادنته فكانت زرافته التي وجّهها إلى الأندلس وصلت إلى الأمير عبد الرحمان حيّة، وهي أوّل زرافة دخلت الأندلس وعاينها أهلها، فصار لهم بها حديث إلى اليوم على حدّ تعبير ابن حيّان[3].

وتشير بعض المصادر إلى أنّ الأمير مُحَمَّد"...**خدمته ملوك البلاد المغربية واعترفت بطاعته**"[4]. ويضيف ابن عذارى"...**وكان الأمير مُحَمَّد مأمولا محبوبا في جميع البلدان وكان مُحَمَّد بن أفلح صاحب تيهرت لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته إلا عن رأيه وأمره وكذلك بنو مدرار بسجلماسة**"[5].كانت هاته الصلات نتيجة الاستقرار السياسي الذي عرفه كل من عصر الأمير مُحَمَّد ابن عبد الرحمان في الأندلس، وأمراء سجلماسة في عهد ميمون الأمير و اليسع المنتصر[6].

---

[1] قامت بسجلماسة جنوب المغرب الأقصى، تافلات الحالية منذ(140هـ/766م) وأوّل أمرائها عيسى ابن مزيد الأسود وهي إمارة خارجية صفرية. انظر: بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م، ص35-36.

[2] تولّى الحكم بعد أبيه عبد الرحمان ابن الحكم سنة ثمان وثلاثين ومائتين دامت خلافته أربعا وثلاثين سنة غير ثلاثة أيام انظر:أبي الوليد عبد الله ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس،2008م،ص35.

[3] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص93-94.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق،ج2، ص24.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص108.

[6] عبد الرزاق محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، (المغرب)، 1985م، ص142-143.

1-3- دولة الأغالبة:

تأثرت العلاقات بين الأمويين في الأندلس والأغالبة[1] بطبيعة ونشأة كل من الدولتين، ثم بالعداء التقليدي بين العباسيين والأمويين، فقد كانت هاته الإمارة ترتبط بالتبعية الاسمية للعباسيين ومن ثم كانت هذه العلاقات عموما تتّسم بروح العداء، إلاّ أن هذا العداء كان عبر فترات. فقد تعامل الأمويين في الأندلس مع الأغالبة، وهو ما اهتمّ به ابن حيّان من خلال ما رواه في هذا الشأن وهو يتعلق بوفادة مُحَمَّد ابن موسى الرازي إلى قرطبة يحمل معه الهدايا الثمينة، التي اعتاد الأمراء والملوك تبادلها فيما بينهم كإشارات دقيقة ودلالات رقيقة على إبداء الرغبة في التّفهم والتفاهم حيث وجد في صدر هذه الهدايا تشكيلة من الصقور .

لقد ذكر ابن حيان باللفظ الصريح أن الأمير مُحَمَّد ابن عبد الرحمان سُرّ بهذه الهدايا وأجزل مكافأة الرازي عليها وأنزله لديه ألطف منزل، وأنّ الرازي أدى إليه سرّا كان أودعه إيّاه إبراهيم ابن الأغلب أمير إفريقية، لم يمْتر في صدقه، وسفر بينهما في الوصلة سفارة خير يمتري بها كلّ منهما الاستفادة ممّا عند الآخر فأوثقهما بينهما محكمة، واعتقد بها منهما أجزل المثوبة...

ويفيد ابن حيّان أن الرازي بعد أن غادر الأندلس ظلّ على اتصال بالمكاتبة مع الأمير بما يحتاج إليه هذا الأخير من أمور المشرق ويستعمله من أخبار ملوكها[2]، وقد عاد الرازي مرّة ثانية للأندلس سنة أحد وسبعين ومائتين، حيث أهدى جارية يصفها ابن حيّان بأنّها رفيعة الشأن مشرقية النشأة رومية الجنس، من تربية ملوكهم قارئة كاتبة نحوية لغوية أديبة بليغة، تحفظ دواوين الشعر الجاهلي والمخضرم والأندلسي وتقرض من الشعر قطعا حسانا، وتحدق الغناء الرفيع بصوت بديع أضحت بمجتمع خصالها نسيجه وحدها . فالخليفة احتاط من هذه الهدية لأن صدى حيلة اغتيال الإمام إدريس الأول من طرف البلاط العباسي ما يزال يرنّ في رحاب الأندلس[3].

---

[1] تلقب الأغالبة بهذا الاسم نسبة إلى الأغلب ولد إبراهيم الأول الذي سيكون المؤسس الحقيقي للدولة (184هـ-196هـ) فالحروف الثلاثة التي اشتقّ منها الاسم (غ ل ب) قلّده الخليفة هارون الرشيد إبراهيم ابن الأغلب أمير إفريقية. انظر : مُحَمَّد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، تع: المنجي الصيادي، مر: حمّادي الساحلي، ط1، 1985م، ط2، 1995م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص84. بشير إبراهيم رمضان التليسي، المرجع السابق، ص35.

[2] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص94.

[3] نفسه، ص96.

1-4- الدولة الرستمية :

قامت العلاقات بين الدولة الرستمية[1] والدولة الأموية في الأندلس على أساس التحالف القوي المتين والصداقة المتبادلة[2]، ويمكن إرجاع هذه العلاقة إلى عهد عبد الرحمان الداخل(138هـ-172هـ/756م-788م) مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، فحين وصل إلى إفريقية فارّا من بطش العبّاسين، لجأ إلى المغرب الأوسط حيث أقام عند بني رستم الذين حافظوا عليه وأجاروه من الأخطار التي تعرض لها. فهناك من المؤرخين من فسّر هذا الكلام على أن قبائل المغرب الأوسط التابعة مذهبيا لبني رستم هي التي قدّمت المساعدة لعبد الرحمان الداخل ليؤسّس دولته في الأندلس[3]. فمن الثابت أنه نزل عند قبيلة نفزة الضاربة بتلك النواحي ليؤسس دولته في الأندلس، ثمّ لحق بمغيلة وقيل مكناسة[4].

كما ذكر الميلي أن عبد الرحمان ابن رستم أجاز عبد الرحمان الأموي إلى قبائل المغرب الأوسط اعتمادا على نفوذه هناك قبل تأسيس "تاهرت[5]"[6].

---

[1] تنسب هذه الدولة التي قامت في المغرب الأوسط إلى مؤسسها عبد الرحمان ابن رستم الفارسي الإباضي الذي بويع بالإمامة سنة(160هـ/766م) وإن اختلفت المصادر في تفاصيل هذا الأصل الفارسي، فإن ابن حزم يذكر أنهم ينتمون إلى الملك الفارسي "جاماسب بن فيروز وبنو رستم ملوك تيهرت من ولي جاماسب". أما البكري ينسبه إلى سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي وابن خلدون فيجعل عبد الرحمان ابن رستم من ولد رستم أمير الفرس القادسية. انظر يحي ابن أبي بكر أبي زكرياء، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص81. أبي مُحَمَّد علي ابن أحمد ابن سعيد ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر 1948م، ص475. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،(دط)،مكتبة المثنى،بغداد،(دت)، ص67. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص146.

[2] مُحَمَّد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم، الكويت، 1987م، ص211.

[3] نفسه، ص214. أم كلثوم ابن يحي، **العلاقات الخارجية بين المغرب الأوسط و الأندلس في عهد الرستميين** ،مجلة الدراسات ،جامعة طاهري مُحَمَّد بشار ،ع6، 2014م، ص17. حسين مؤنس، فجر الأندلس ، ص515.

[4] المقري، المصدر السابق، ج1، ص204.

[5] اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحدهما تاهرت القديمة والأخرى المحدثة، بين تلمسان وقلعة بني حماد كما أنها الإقليم الرابع وكانت قديما تسمى "عراق المغرب"، وصورة تاهرت من إفريقيا عند الجميع مفردة العمل والاسم والدواوين، أما الحديثة فخمسة أميال على تاهرت القديمة. بناها عبد الرحمان ابن رستم سنة 160هـ في موضع مربع ولذا سميت تاقدامت وتفسيرها الدفء. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص97. البكري، نفسه، ص67. ابن حوقل، المصدر السابق، ص53. ابن عذارى، المصدر السابق ،ج1، ص196.

[6] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، تص وتح: مُحَمَّد الميلي، (دط)، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، (دت)، ص65.

وهناك من نفى ذلك جملة وتفصيلا، فعبد الرحمان ابن رستم فضلا عن عدم تأسيسه لدولته في الوقت الذي وطأت فيه أقدامه أرض المغرب سنة (133هـ-751م) لم يكن له نفوذ في بلاد المغرب الأوسط آنذاك، فصلاته بقبيلة لماية بالمغرب الأوسط لم تقم إلا بعد ولايته للقيروان كنائب لأبي الخطاب المعافري سنة (141هـ/758م) ويبدوا أنهم خلطوا بين شخصيتي عبد الرحمان ابن رستم وعبد الرحمان ابن حبيب أمير إفريقية في ذلك الحين[1].

ولعلّ من أهم الأسباب التي وثّقت هذه العلاقة بين الطرفين هي أنهما يشتركان في عداء بني العباس، كما أن الدولة الرستمية كانت على خير ووفاء مع جيرانها الأغالبة من الشرق والأدارسة في الغرب الذين كانوا من أهم أنصارهم، وفي الوقت نفسه خصوما للأمويين في الأندلس[2]. فقد توطدت العلاقات بينهما باستقبال الرستميين كبار رجال الأندلس الذين وفدوا إلى تاهرت واستوطنوها وأصبحوا أعضاء بارزين في المجلس الشوري الإباضي التاهرتي، وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين من الأندلس: عمران ابن مروان ومسعود الأندلسي وقد كانا من السبعة الأشخاص الذين رشّحهم الإمام لإمامة الإباضية في تاهرت قبل وفاته. إلاّ أنّ عامة المسلمين مالت نفوسهم إلى اثنين أحدهما مسعود والآخر عبد الوهاب، فمكثوا نحو شهرين يرون الرأي ثم إن الجمهور رجّحوا مسعود فبادروا ليبايعوه[3] . وظلت الدولتان تسعى كل منهما إلى كسب صداقة الأخرى، ففي سنة(207هـ/822م) بعث عبد الوهاب الرستمي[4] (171هـ-207هـ) أبناءه الثلاثة في سفارة رسمية إلى قرطبة،كما يذكر ابن حيّان "**وفيها قدم عبد الغني ودحيون وبهرام بنو عبد الرحمان ابن رستم أمير تاهرت في أرض عدوة مولى**

[1] محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص204.

[2] محمّد ابن إبراهيم أبا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث هجري (280هـ- 888م/300هـ-912م)، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1995م، ص386.

[3] أبو العباس أحمد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم الطلاي، (دط)، ج1،(دد)، (دب)، 1971م، ص46.

[4] هو عبد الوهاب ابن عبد الرحمان ابن رستم ثاني أئمة الرستميين، بويع بالإمارة بعد وفاة أبيه عبد الرحمان بتيهرت بنحو شهرين، وذلك أن عبد الرحمان لما حضره الموت جعلها شورى بين أشياخ المسلمين، إلا أن عامة الناس مالت أنفسهم إلى اثنين هما :مسعود الأندلسي والآخر عبد الوهاب، ثم مال الأكثرون إلى مسعود وبايعوه فلما بلغه الخبر هرب، فبايعوا عبد الوهاب وكان أولهم مسعود. انظر : أحمد ابن سعيد عبد الواحد الشماخي، كتاب السير. تح: أحمد ابن مسعود السياسي، ج1، (دط)،(دد)، (دب)، (دت)، ص130. أبي زكرياء، المصدر السابق، ص86.

بني أمية –ووليهم أو جدهم عبد الوهاب– على الأمير عبد الرحمان[1]، فكرم موردهم وأوسع قراهم، وأجزل صلاتهم وقلبهم مغبوطين إلى أرضهم[2]".

وقد أنفق عليهم حسب ما يذكر ابن سعيد "**ألف ألف دينار**"[3]فضلا عن الهدايا الثمينة، وفي عودتهم إلى أرضهم غرق المركب الذي كان فيه محيون وبهرام ومن كان معهما. أمّا المركب الآخر الذي كان فيه عبد الغني فقد نجا من الأخطار، واتفق أن هلك أبوهم عبد الوهاب قبل أن يأتيه خبرهم وذلك على رأس سبعة شهور من ولاية عبد الرحمان فولى تاهرت مكانه أفلح بن عبد الوهاب[4]. كما قرب عبد الرحمان الثاني إليه الكثير من آل البيت الرستمي، واتخذ منهم الوزراء والحجاب والقادة فقد تولى مُحَمَّد ابن سعيد[5] الوزراء و قيادة الجيش كما نجد عبد الرحمان ابن رستم الذي تولى الوزارة والحجابة، ويرجّح أن يكون عبد الرحمان ابن رستم ابنا أو أخا لمحمد ابن سعيد.

وفي عهد الإمام أفلح ابن عبد الوهاب نمت العلاقات وغدت المراسلات بينهما تفيض باسم وشائج المودة والتعاون، وكانت كلتا الدولتين تبلّغ الأخرى بانتصاراتها وتبادل الهدايا بينهما في المناسبات، فحين أحدث أبو العباس مُحَمَّد ابن الأغلب (226هـ-242هـ/840م-856م) مدينة بالقرب من تاهرت سمّاها العباسية وذلك من سنة (227هـ/856م)، فقام الأفلح ابن عبد الوهاب الإباضي بتخريبها وحرقها، وكتب إلى صاحب الأندلس يعلمه ذلك فردّ عليه عبد الرحمان الأوسط بمكافأة

---

[1] هو عبد الرحمان ابن الحكم ابن هشام تولّى الحكم بعد أبيه (206هـ-237هـ/822م-852م)وله ثلاثون سنة، ويكنى أبا المطرف وأمه تسمى حلاوة، وعرف بعبد الرحمان الثاني أو الأوسط لأن الأول عبد الرحمان الداخل والثالث عبد الرحمان الناصر. انظر: عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: مُحَمَّد سعيد العريان، (دط)، (دد)، القاهرة،1963م، ص48. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص80.

[2]أبي مروان ابن حيّان، المقتبس في أخبار الأندلس،تح: محمود علي المكي،ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003م، ص410.

[3] أبو الحسن علي ابن موسى ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، تح: ضيف شوقي،ج1، ط4، دار المعارف، القاهرة ،1964م، ص48.

[4] ابن حيّان، نفسه، ص410- 411.

[5] هو مُحَمَّد ابن سعيد ابن مُحَمَّد ابن عبد الرحمان ابن رستم، دخل أبوه للأندلس وكان مُحَمَّد بناحية الجزيرة الخضراء اصطنعه عبد الرحمان ابن الحكم في إمارته على شذونة من قبل أبيه الحكم، ولما أفضت إليه الخلافة استقدمه وصرفه إلى الحجابة والوزارة، وهو أحد القواد الذين كان الفتح على أيديهم بإشبيلية، كان أديبا، حكيما، لاعبا للشطرنج. انظر: أبو عبد الله مُحَمَّد ابن أبي بكر ابن الأبّار، الحلة السيراء، تح:حسين مؤنس،ج2، ط1، 1963م، ط2، 1985م، ص372-373.

مالية قدرها مائة ألف درهم، فإن دلّ هذا فإنما يدلّ على أن الطرفين قد حافظا على استمرارية تلك العلاقة الطيّبة بينهما[1].

وأصبح تبليغ الانتصارات بين الدولتين تقليدا أساسيا متبادلا، فحينما نجح قوّاد الأمير عبد الرحمان الأوسط وعلى رأسهم القائد مُحَمَّد ابن رستم في إنزال الهزيمة بالمجوس[2]سنة (230هـ/840م)،أرسل صاحب قرطبة رسولا إلى الإمام أفلح صاحب تاهرت يخبره بما تمّ له من انتصار على هؤلاء المجوس[3]، وأرسل أيضا الخبر نفسه إلى حلفائه من سكان طنجة وضواحيها من قبيلة صنهاجة. وهو دليل على أن الأمير عبد الرحمان الأوسط قد امتدّ نفوذه إلى المغرب الأقصى، ويقول ابن عذارى في ذلك:"**كتب إلى كل من طنجة وصنهاجة يُعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس وبما أنزل فيهم من النّقمة والهلكة وبعث إليهم برأس أميرهم ومائتين رأسا من أغنامهم**[4]".

وقد ذكر ابن سعيد أنّ عبد الرحمان لم يشغله النعيم عن وصل بعوث إلى دار المغرب[5]، وهذا يدل على ودّية العلاقات القائمة بين الرستميين والأمويين في الأندلس. ولما تولّى عبد الرحمان الأوسط الحكم سنة(238هـ/852م) آثر أن يسير في السياسة التي رسمها والده وهي الاستمرار في العلاقة الطيبة والودية مع البيت الرستمي وغيرهم من أمراء المغرب، فأوفد إلى بلاط تاهرت سفارة تعبّر للإمام أفلح ابن عبد الوهاب من حديث عن احترامه وتقديره له كما عبّر له عن رغبته في استمرار هذه العلاقة الصادقة بين البلدين، وبعث له بهدية ثمينة وكان ذلك سنة (238هـ/853م)[6].

---

[1] أبو الحسن أحمد ابن يحي البلاذري، (دط)، مطبعة القاهرة،1317هـ، ص377. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص256. ابن الأثير، المصدر السابق،ج6، ص66. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص107. عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية،(دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص144.

[2] المراد بالمجوس هنا النورمان أو الأردمانيون، سمّاهم المسلمون بالمجوس لأنهم كانوا إذا أغاروا على موضع أشعلوا النيران فيه، ترجع أصولهم إلى العنصر الجرماني ظلوا يعيشون في عزلة ،في شبه الجزيرة سكنداوة و تعني جزيرة الدنمارك وأصل الأردمانيين تحريف لكلمة نورمان اللاتينية وتعني سكان الشمال وأطلق عليهم المؤرخون المعاصرون اسم الفايكنغ أي سكان خلجان. انظر:ابن الأبار ، نفسه، ص372. مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص221-222.

[3] مُحَمَّد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص216. عبد العزيز فيلالي، نفسه، ص107.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص88.

[5] ابن سعيد، المصدر السابق، ص46.

[6] عبد العزيز فيلالي، نفسه، ص107.

ويصف لنا المؤرخ ابن حيان النفوذ المتزايد للأمير مُحَمَّد ابن عبد الرحمان الثّاني، في الشمال الإفريقي وتتبّعه لأخبار بني العبّاس في كل من القيروان ومصر وبلاد الشّام بقوله:"**كان الأمير مُحَمَّد ابن عبد الرحمان شديد التهمم بخبر الساحل والعدوة، مراعيا لما هناك من أخبار أعدائها المسودة {العباسيون} متجسسا عن عمالهم محتولا عنهم، لكثرة من يتعرف عليهم من ملوك البربر العلقين إليه بالولاية، لبني مدرار ملوك سجلماسة، ومُحَمَّد ابن أفلح ابن رستم أمير تاهرت وغيرهم، فلا تزال رسله وكتبه تتردّد إلى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العبّاس بدار مملكتهم وأخبار ولاّتهم بالشام ومصر وإفريقية**"[1].

2-السفارات بين الدولة الأموية في الأندلس والعالم المسيحي.

2-1- الدولة البيزنطية:

على قدر العلاقات التي كانت تربط الدولة الأموية في الأندلس بدويلات المغرب الإسلامي كانت لها علاقات أخرى قامت بينها وبين الدولة البيزنطية على اختلاف الفترات الزمنية والمراحل التي مرت بها الدولة الأموية، فقد كانت بينهما روابط ودية لكن هذه العلاقات لم تتعدّ السفارات والبعثات والهدايا[2].

أول سفارة بيزنطية حفظتها النصوص التاريخية تلك التي وصلت أيام عبد الرحمان الأوسط الذي كان نافذ الهيبة، عظيم السلطة، وافر القوة[3]. ففي سنة (225هـ/840م) أرسل ملك الروم تيوفلس الأعظم بالقسطنطينية سفارة برئاسة قرطيوس من أصل يوناني يجيد اللغة العربية، الذي كان ترجمان رسول ملك الروم تيوفلس، حمل معه الهدايا الفاخرة ورسالة الصداقة، وكان تيوفلس أول من مدّ الحبل من ملوك الطاغية بينهم وبين ملوك الأندلس، وتضمّنت هذه الرسالة ما يلي :

*المواصلة بين الجانبين الأموي والبيزنطي وطلب تبادل المبعوثين بينهما.

*عقد معاهدة صداقة وتحالف.

[1] عبد العزيز فيلالي،المرجع السابق،ص 108.

[2] عصام الدين عبد الرءوف، تاريخ المغرب والأندلس، (دط)، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1954م، ص102.

[3] عبد المجيد نعني، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ، (دط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ص216.

*ترغيب الأمير الأموي عبد الرحمان الثاني في ملك أسلافه بالمشرق من أجل ما ضيق بها المأمون والمعتصم، حتى أنه ذكرها في كتاب له وعبّر عنهما بابني مراجل ومادرة[1]، وأنه مستعد لتحقيق ذلك[2].

*تمنى عليه انتزاع جزيرة اقريطش[3] من الربضيين وإعادتها إلى بيزنطة .

*ألقى باللوم على عدوانية العباسيين وأتباعهم الأغالبة الذين هم أعداء طبيعيين لكل من بيزنطا والدولة الأموية في الأندلس، استقبل عبد الرحمان الثاني السفارة البيزنطية بحفاوة بالغة، فكرّم الرسول غاية التكريم وكافأه عن هديته بأحسن منها، كما عبّر عن شعوره بالفخر حيث ينظر إليه على أنه عامل قوي ويحظى بالاحترام والتقدير[4].

ومن المؤكد أن لهذه السفارة هدفا أو أكثر، ينبغي تحقيقه ممّا هيّأته الظروف ودعت إليه الأحداث، فيظهر أن نزول جماعة من الأندلسيين في جزيرة اقر يطش التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية واستقرارهم فيها منذ عام (212هـ/827م) كان السبب والدافع القوي، وحوت ثناياها القصد المهم للسفارة البيزنطية إلى الدولة الأموية في الأندلس عام (225هـ/840م)[5].

[1] ابن مراجل هو الخليفة المأمون وابن ماردة هو المعتصم نسب كل واحد منهما إلى أمه على سبيل الاحتقار .انظر : مُحَمَّد عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1969م، ص387، ص392. ابن حيان، المصدر السابق، ص433.

[2] المقري، المصدر السابق،ج1، ص346. ابن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص166. ابن حيان، نفسه، ص 430، 433. مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص232.

[3] اسم جزيرة في بحر المغرب، يقابلها من برّ إفريقية لوبيا. لمّا ثار أهل الربض على الحكم ابن هشام سنة 202هـ أوقع بهم الوقعة المشهورة ،هدم دورهم ومساجدهم، ولحقوا بفاس من أرض العدوة. ولحقوا بالإسكندرية ومنها إلى جزيرة اقر طيش، وولّوا عليهم أبا الحفص عمر ابن شعيب البلوطي، فلم يزل رئيسا عليهم وولده من بعده إلى أن ملكها أرمانونس ابن قسطنطين في جمادى الأولى سنة 349هـ ولم يزلها محاصرا حتى فتحها عنوة بالحرب والجوع سنة 350هـ، فقتل ونهب وأخذ صاحبها عبد العزيز ابن شعيب من ولد أبي حفص إلى القسطنطينية. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص236. ابن خلدون، نفسه، ص162. ابن حيان، نفسه، ص140.

[4] نفسه، ص431،434. مُحَمَّد سهيل طقوش، نفسه، ص 232.

[5] عبد الرحمان علي الحجي، العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطا حتى نهاية القرن الرابع هجري، (دط)، المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2003م، ص31 وما بعدها.

ولعل الحدث الثاني الذي كان وراء ذلك وقعة عمورية[1](AMMORUIM)عام(223هـ/ 838م) وما أنزله الخليفة العباسي المعتصم من هزيمة بجيوش الإمبراطور تيوفلس في هذه المنطقة[2]، فرأى تيوفلس ملك الروم أنه لابد من السعي للحصول على أصدقاء وربما حلفاء له ولدولته[3].

فقبل أن يرسل برسالته هذه إلى عبد الرحمان الثاني فأرسل سفارتين بفارق زمني لعدة أشهر.توجهت السفارة الأولى إلى الملك الكارولنجي لويس التقي على الرغم من النفور الظاهر بينهما أما وجهة السفارة الثانية فكانت نحو البندقية، لكنّه لم يحصل على أيّ نتيجة وهذا ما أدى به إلى التوجه نحو الأمير عبد الرحمان الثاني، كما كان تيوفلس يرمي من وراء إقامة حُسن الصلة مع عبد الرحمان الثاني هو الانتفاع بالجفوة السياسية القائمة بين الدولة الأموية في الأندلس والعباسيين في المشرق. ومن المعروف أن القوى السياسية في كل من العالمين الإسلامي والنصراني كانت آنذاك تنافس بعضها البعض، حيث نجد الخلافة العباسية المناهضة للإمارة الأموية في الأندلس والإمبراطورية البيزنطية الكارهة للإمبراطورية الكارولنجية، خاصة بعد تبادل السفارات بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وشارلمان بهدف عزل الإمارة الأموية في الأندلس والحدّ من توسعاتها، وعلى إثر هذا لم تقف بيزنطة موقف المتفرج من إزاء هذه الاتصالات السياسية بين العباسيين والفرنجة[4].

[1] عمورية بلد في بلاد الروم، وهي أيضا بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيرز، وحادثة عمورية قادها الخليفة العباسي أبو إسحاق المعتصم كردّ لما قام به تيوفلس ملك الروم صاحب السفارة، نزل على زبطرة في مائة ألف أياما وافتتحوا بالسيف فقتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء، ثم أغار على ملطية، ولما سمع المعتصم ذلك فجمع جيشا وتولّى القيادة بنفسه، والتق بجيش تيوفلس فهزمه وخرب مدينة أنقرة ثم حاصرة مدينة عمورية التي تقع بجوار أنقرة، وتمكن المعتصم من افتتاح المدينة وتخريبها في رمضان (223هـ/838م). انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص158. ابن قتيبة، المصدر السابق، ص392. الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمّد بسيوني زغلول،ج1، (دط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت)، ص304. أحمد مختار العبادي، في تاريخ العباسي والأندلسي، (دط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص118.

[2] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص31.

[3] عبد المجيد نعني، المرجع السابق، ص215.

[4] محمّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص231– 232.

أما الرّد الجوابي الذي أرسل به عبد الرحمان الثاني إلى ملك الروم بالقسطنطينية، فقد كلّف به سفيره يحي الغزال[1] من كبار أهل الدولة وكان مشهورا في الشعر والحكمة.

وحسب رواية ابن حيان فإنه يذكر أنه أرسل رسولين مع الرسول قرطيوس سفير تيوفلس وقيل اختارهما من رجال مملكته "**كان الشيخين المنجمين الغزال وصاحبه المنيقلة**"[2]. فقد كان يناقش مطالب الإمبراطور البيزنطي ويرد على رسالته فقرة فقرة، حتى المطّلع عليه يستطيع أن يستنتج مطالب الإمبراطور الذي وردت آنفا، وقد جاءت في الرسالة التي أرسلها عبد الرحمان الثاني مع سفيره الغزال بإجمال مايأتي[3]:

*الإفادة بوصول كتاب الإمبراطور وتفهّم ماجاء فيه حول مشاعر الصداقة التي كانت قائمة بين أجداد الإمبراطور والأمير الأموي عبد الرحمان الثاني في الشام والرغبة في تحديدها،ثمّ بيّن له عبد الرحمان الثاني رغبته في التجديد والمواصلة والتمسك فيها وأن ذلك أمر محبّب بين الملوك يتواصون به ويشدّون عليه.ثم أظهر الأمير عبد الرحمان الثاني تقديره الشخصي تيوفلس لما أبدى في رسالته اتجاه المصير المؤلم الذي انتهى إليه مروان ابن مُحَمَّد (128هـ/132هـ) آخر خلفاء بني أُمية في المشرق على يد العباسيين .

*حنقه على العباسيين حيث تمنى أن تهيئ العناية الإلهية للأسرة الأموية في الأندلس الانتقام لنفسها منهم [4]،كما أشار عبد الرحمان الثاني أنّ عودة الأمويين تبقى أُمنية لهم ولأنصارهم في الشام والأندلس، وأنه يعلم أنّ الإمبراطور تيوفلس حينئذ لن يتخلى عنهم نضراً لما بينهم من صداقة ومودة.

---

[1] يحي الغزال هو يحي ابن الحكم البكري الجياني كان كثير القول ، مطبوع النظم في الحكم والجدل والهزل وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزله وقد لقب بالغزال لجماله. وقد لقبه الأمير عبد الرحمان الأوسط بلقب الغزال عندما دخل عليه أول مرة فقال له "جاء الغزال بحسنه وجماله" وكان الغزال حكيم الأندلس وشاعرها وعرافها، ولد سنة 156هـ في إمارة عبد الرحمان الداخل وهو بذلك عاصر عددا من أمراء بني أمية وهم هشام ابن عبد الرحمان والحكم الربضي وعبد الرحمان الثاني، مات في إمارة الأمير مُحَمَّد ابن عبد الرحمان الثاني سنة 250هـ ، وكان لهذه الصفات الحسنة التي يتمتع بها الأثر الكبير في اختياره سفيرا للأمير عبد الرحمان الثاني. انظر: المقري، المصدر السابق، ج2، ص250. الضبي، المصدر السابق،ص673-674. ابن حيان، المصدر السابق، ص355. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1959م، ص157.

[2] ابن حيان، نفسه، ص432.

[3] انظر الملحق رقم6.

[4] ابن حيان، نفسه، ص 432، 435.

*أما ما يتعلق بطلب مساعدة الأمويين ضدّ مسلمي اقر طيش الأندلسيين لما يقومون به من غارات على الأسطول البيزنطي والجزر المجاورة لهم فقد أجابه الأمير أن أولئك خارجون عن الدولة الأموية في الأندلس ولا تربطهم بهم علاقة أو ولاء، بل أصبحوا تابعين للخليفة العباسي، أما في حالة عودة الأمويين إلى المشرق سوف ينظرون في وضعهم عند ذلك[1]. وتجنب الردّ على طلبه فيما يتعلّق بالأغالبة لأنه من الصعب عليه أن يستنكر علانية قيام مناوئيه بحملات موجهة ضد غير المسلمين لإعلاء كلمة الدين[2].

*ثمّ إن أمورا بين الدولتين لم تكتبْ في رسالة الأمير عبد الرحمان الثاني إلى تيوفلس وإنما سبق شرحها مشافهة للسفير البيزنطي، ولا يستبعد أن تكون هذه الأمور قد وُضحت للمبعوثين الأمويين إلى هنا. ويتضح ذلك خلال الفقرة الأخيرة من الرسالة التي يقول فيها الأمير للإمبراطور[3]:"**وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا وكشفناه على الذي أوصيت به إلينا، وعن كل مايحب للصديق أن يعرفه من حال صديقه، ووجهنا إليك بكتابنا هذا رسولين من صالحي من قبلنا، فاكتب إلينا مفهما بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتبت به إلينا والذي يحب عليك من سائر خبرك ومتعة عافيتك...إن شاء الله**"[4].

يتضح من جواب عبد الرحمان الثاني للإمبراطور البيزنطي:

أنه رغم محاولة الإمبراطور تيوفلس التأثير واستمالة عبد الرحمان الثاني وعقد حلف معه ضدّ العباسيين من خلال تذكير عبد الرحمان الثاني بالصداقة التي كانت تربط أسلافه في الشام والبيزنطيين، وتحريضه ضد العباسيين فأغراه في ملك سلفه في المشرق ومنّاه في المعاونة ورغب إليه معاهدة صداقة وارتباط بالتعاون مع الخلافة العباسية. إلاّ أن الإمبراطور لم يظفر بشيء ملموس من الأمير عبد الرحمان الثاني ماعدا عبارات الاحترام والتقدير والمجاملة والوعود المبهمة وتعليقها بالمستقبل.كما أن الرسالة لا تتضمن وعودا بالانضمام إليه بمحاربة المسلمين ولا توحي بوجود ارتباط أو تحالف عسكري أو سياسي بينهم.

[1] ابن حيان،المصدر السابق، ص 435.

[2] مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 232.

[3] سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص 145 .

[4] ابن حيان، نفسه، ص 435.

كما أن هذا الجواب ينفي ما ذهب إليه المؤرخين سواء المشارقة أو المغاربة على حد سواء وذلك بوجود حلف بين الأمويين في الأندلس والبيزنطيين للسفارات التي كانت بينهم، وهو أمر هدف إليه البيزنطيين وأهمله الأمويون. فالمطلع لهذه الرسالة يجد أنّها لم تتعد سوى المجاملات وعبارات التقدير والاحترام ، وأنه لم يُرد على هذه الرسالة بالقبول أو التحالف ضدّ العباسيين كما يزعم بعض المؤرخين.

وبالتالي هذا الحلف كان أمرا وهميا ولا وجود له في الواقع التاريخي ولا يعني بالضرورة تبادل السفارات بين الجانبين أو وجود تحالف بينهما.

2-2- فرنسا:

كانت العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس والفرنجة[1] علاقات عدائية، تميزت بالمواجهة العسكرية لاسيما في الأيام الأولى من عهد الإمارة، إلا أنّ هذا لم يمنع من وجود علاقات ودية بين الطرفين، فكما هو معروف أن سياسة المسلمين كانت تستجيب دائما إلى طابع الصلح أو السلام فلم يتخذ عبد الرحمان الداخل أو الأمراء الذين جاؤوا بعده موقف الهجوم فقط، بل كان موقفهم دفاعيا لصدّ الهجوم حسب الظروف. وقد تبادلت دولة الفرنجة مع الدولة الأموية في الأندلس السفارات والزيارات، وإن كانت هاته السفارات ضئيلة في هذه الفترة إلا أوقات السلم التي كانت بين الفرنجة والدولة الأموية في الأندلس التي كانت في أيام عبد الرحمان الداخل، فلقد أورد في ذلك المقري نصا يقول فيه:"**وخاطب عبد الرحمان قارله وكان من طغاة الإفرنج، بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكسر تام الرجولية، فمال معه إلى المداراة ودعاه إلى المصاهرة والسلم، فأجابه للسلم، ولم تتم المصاهرة**"[2]. ويُفهم ممّا ذكره المقري أن معاهدة السلام التي أُبرمت بين الطرفين كانت استجابة لهما.

[1] أمة عظيمة لها بلاد واسعة وممالك كثيرة وهم النصارى، وهم في شمالي الأندلس نحو الشرق من رومية ويقصد بدولة الفرنجة في المصادر العربية الأرض الكبيرة أو بلاد الغال، تقع خاف جبال البرانس وتطلق على القسم الجنوبي من فرنسا الحالية وقد استُعمل المصطلح ليدلّ في بعض الأحيان على الإمبراطورية الرومانية أيام شارلمان وربما استعمل ليدل على أوروبا. وقد حكمت هاته الدولة الأسرة الميروفنجية ثم الأسرة الكارولنجية. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، م+ج1، ص228. جاسم لطيف جاسم، نورة خطاب علي، **علاقات الأمير عبد الرحمان الداخل بدولتي الفرنجة والدولة العباسية (139هـ-172هـ/756م-788م)**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج17، العدد9، 2010م، ص2.

[2] المقري، المصدر السابق،ج1، ص 330-331.

كما أن المصادر العربية لم تتطرق إلى هذه العلاقات إلاّ بإشارات قليلة عكس المصادر الأوروبية التي تحدثت بإسهاب عنها وإن كانت لا تخلو من المبالغة، ونجد أيضا عبد الرحمان الأول قد أرسل مبعوثين إلى إمبراطور فرنسا بيبين حيث استقبلهم في إكواتين – مدينة جنوب فرنسا – في سنة (151هـ/768م) وفدا في من السراسين الذين قدموا من مرسيليا[1].

وفي عهد الحكم ابن هشام (180هـ-206هـ/822م-852م) أرسل وفدا إلى شارلمان وقد وصل إلى اكس لاشابيل، وكان هدف الوفد عقد الصلح بين الطرفين الأندلسي والفرنسي، وبموجب هذا الصلح تنازل شارلمان عن جميع الأراضي الواقعة بين نهر ابره والبيرانة. وانعقد هذا الصلح في سنة (195هـ/810م)[2] وأشارت بعض الدراسات التاريخية أن الملك بيبين الصغير كان في حرب مع عمّه شارل الأصلع، إذ لم يتردّد في إرسال وفد إلى عبد الرحمان الثاني يستنجد به ضد شارل الأصلع فرحّب عبد الرحمان الثاني بهذه السفارة وأكرمها ولبّ طلبه حيث بعث إليه بقوات سنة 234م حاصر بها برشلونة ودمّر بها أسوارها واستطاع انتزاعها من شارل الأصلع[3].

2-3- إسبانيا النصرانية:

منذ أن وطئت أقدام عبد الرحمان الداخل الأرض وحتى قيام خلافة عبد الرحمان الناصر (138هـ- 316هـ/755م- 928م) قام صراع طويل بين مسلمي الأندلس ونصارى الشمال الإسباني الذي لم يتوقف إلا لفترات طويلة[4]، وأغلب الحالات كانت من أجل الدفاع لصد الهجوم، من أجل تحقيق الاستقرار، عمد عبد الرحمان الداخل إلى سياسة الاعتدال والمهادنة، كان يرحب بعقد السلم والمهادنة معهم ولم يفكر في غزو أرض النصارى نظرا لاشتغاله بأمر الثورات الداخلية فهو لم يتوان في عقد الأمان[5] الذي تم بينه وبين مسيحي الشمال سنة (142هـ/759م)، وهذا يعني أن السفارة من الشمال قد حضرت إلى قرطبة لإبرام هذه المعاهدة، ولكن لايوجد معلومات حول هذه السفارة أو

[1] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص103.

[2] نفسه، ص103-104.

[3] ميلود بن حاج، الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمان الثاني (206هـ/822م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، سامية أبو عمران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008م، ص39.

[4] عبد الحليم رجب محمّد، العلاقات بين الأندلس وإسبانيا النصراني في عصر بني أمية وملوك الطوائف، (دط)، دار الكتاب المصري، القاهرة، (دت)، ص111.

[5] انظر مضمون هذا الأمان في الملحق رقم7.

التاريخ الذي أبرمت فيه، غير أنها كانت في حكم فرويلا الأول (140هـ-150هـ/757م-768م) الذي كان يواجه اضطرابات ومشاكل داخلية وبإفادة من الرغبة المتبادلة في السلم[1].

وفي ضوء هذه العلاقات بين الدولة الأموية في الأندلس وممالك إسبانيا في الشمال، فنجد مملكة نبرة[2] التي جنحت إلى السلم في بداية عهد الأمير عبد الرحمان الثاني حيث أرسلت سفارة إلى بلاط عبد الرحمان الثاني نتيجة المساعدات التي قدمتها لها حوات الثغر الأعلى عند تعرضها لهجوم الجيش الفرنسي بملونة عام (209هـ/824م)بقيادة أزنار وأبلو الفرنسي، فالمساعدة التي قدمها عبد الرحمان الثاني في صدّ هذا الهجوم ثم هزيمة الجيش الفرنسي. فقد تم إبرام معاهدة بين الطرفين تتضمن مساعدة المسلمين لنبرة في صدّ أي اعتداء خارجي، وتساعد مسلمي حيث يريدون عبور جبال البرنات إلى فرنسا[3].

وفي عهد الأمير مُحَمَّد الأول ابن عبد الرحمان الثاني (238هـ-273هـ/852م-886م) فقد ظهرت سفارة من هذا الأمير موجهة إلى إذفنش الملك النصراني[4]، فكان الهدف منها إطلاق سراح وزيره هاشم ابن عبد العزيز وأداء فديته[5]. وفي هذا يذكر ابن خلدون:" **ثم غزى الأمير مُحَمَّد بنفسه سنة إحدى وخمسين بلاد الجلالقة فاتحا وخرب، وانتقض عليه عبد الرحمان ابن مروان الخلفي فيمن معه من المولّدين وساروا إلى التخم، ووصل يده بإذفشن ملك حليفه فسار إلى الوزير هاشم ابن عبد الرحمان في عساكر الأندلس سنة ثلاث وستين فهزمه عبد الرحمان وحصل هاشم في أسره،**

[1] مُحَمَّد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول، ج1، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص198- 199. عبد الرحمان علي الحجي، العلاقات الدبلوماسية مع أوروبا خلال المدّة الأموية (138هـ-366هـ/755م-976م)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، دنلوب، جامعة كيمبرج، إنجلترا، 1966م، ص94.

[2] تقع في بلاد البشكنش وقاعدتهم بنبلونة، ظهرت نبرة على المسرح السياسي منذ بداية القرن (3هـ/9م)، وكانت قبل ذلك تسير في فلك جليقة أو أباطرة الفرنجة من أمراء نبرة المستقلين. انظر: عبد الحليم رجب مُحَمَّد، المرجع السابق، ص149. عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي، ص275.

[3] عبد الحليم رجب، نفسه، ص149- 150.

[4] الملك النصراني الذي تزامن حكمه مع حكم الأمير مُحَمَّد هو أردون الأول (236هـ-252هـ/850م-866م) وبعده تولى الحكم إذفنش الثالث(Alfonso)الملقب في المصادر الإسبانية أحيانا بالكبير(252هـ-297هـ/866م-910م)، فالمعني الملك النصراني هو ألفونسو الثالث لأن تاريخ إطلاق سراح الوزير هاشم يتفق مع حكم ألفونسو الثالث. انظر: عبد الرحمان علي الحجي،نفسه، ص271. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص168.

[5] إبراهيم مُحَمَّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص106.

ثم وقعت المراودة في الصلح على أن ينزل عبد الرحمان بطليوس[1] ويطلق الوزير هاشما فتمّ ذلك من خمس وستين"[2].

لكن الأمير مُحَمَّد لم يرد الإعلان أو التصريح بمكاتبة آلفونسو الثالث، وأن يبدو فداء وزيره هاشم من قبل أهله وعشيرته لا من قبله مباشرة، مع أنّ أهله لم يكونوا قادرين على دفع الفدية المطلوبة لإطلاق سراح هاشم. ولعل هدف الأمير من هذه السرية كان نابعا من أنه لم يرد إظهار الضعف والانكسار أمام الملك النصراني آلفونسو الثالث، بل أظهر عدم اكتراثه للأمر بالرغم من تأثره بما حصل لوزيره، لأن تأثر الأمير لهذا الأمر لا يُسجل على الأمير فحسب وإنما على الإمارة الأموية في الأندلس كلها، أو لعله نابع من أن الأمير مُحَمَّد أراد غلق الباب أمام آلفونسو الثالث عندما أراد المساومة بأمور أخرى، فلم يتعلق بالمال لأنه أراده كفدية، فتصرف الأمير هذا بجعل الملك النصراني يتردد في إرسال الفدية[3].

وبعد إطلاق سراح الوزير هاشم فكر الأمير مُحَمَّد في غزو جليقية[4]، وكانت من بين هذه المحاولات أنّه أرسل ابنه المنذر عام (280هـ-833م) مع جيش بقيادة هاشم ابن عبد العزيز، الذي استولى على سرقسطة واخترق آلية لمقاتلة آلفونسو الثالث، لكن المفاوضات جرت وانتهت بعقد الهدنة، فأرسل آلفونسو الثالث القس (دولشديو) سفيرا إلى قرطبة لوضع قواعد الصلح مع أمير الأندلس، ونجحت المفاوضات وعاد السفير إلى "أفيدو" عاصمة ليون (جليقة) وتفرغ آلفونسو لعلاج مشاكل دولته الداخلية، وكانت الأزمات السياسية والاجتماعية تتعاقب هناك لبواعث تتعلق بنظم المجتمع النصراني نفسه[5].

[1] مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر أنة غربي قرطبة، انظر: ابن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص168.

[2] نفسه، ص168.

[3] إبراهيم مُحَمَّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص106.

[4] ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب، وبلد الجليقيين سهل الجلالقة من ولد يافت ابن نوح عليه السلام، وهي تلي المغرب وتنحرف إلى الجوف. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص157. الحميري، المصدر السابق، ص66.

[5] عبد الحليم مُحَمَّد رجب، المرجع السابق، ص146- 147.

بلغت الأوضاع الداخلية سواء بالنسبة للأمويين في الأندلس أو الممالك النصرانية في شمال إسبانيا دورا مهما في لجوئه للسلم وعقد الصلح، أما الأمراء الذين جاؤوا بعده فقد انشغلوا بالفتنة التي أصابت الأندلس ومحاولة القضاء عليها، فلم يرد تمثيل دبلوماسي أو سفارات ذات أهمية [1].

2-4- دولة النورمان (الفايكنغ):

إن من نتائج هجوم النورمان (الفايكنغ) على الأندلس وبعد هزيمتهم سنة230هـ، أرسل ملك النورمان سفارة إلى قرطبة يطلب فيها الصلح ليتجنب انتقام المسلمين، بعد أن أدرك أنه قد اصطدم بقوة جديدة تختلف عن سائر قوى غرب أوروبا، وقد روى لنا تفاصيل هذه السفارة الأديب الأندلسي أبو الحطاب عمر الحسن ابن دحية البلنسي إذ يقول :"**وقد دعا السلطان عبد الرحمان ملك المجوس {النورمان}تطلب الصلح بعد خروجهم من اشبيلية[2]، وإيقاعهم بهجماتهم ثم هزيمتهم بها وقتل قائد الأسطول فيها، رأى أن يواجههم بقبول ذلك** ..."[3]. يبدو أن الأمير عبد الرحمان الثاني رحّب برسل ملك النورمان (الفايكنغ) لأن الأندلس من غاراتهم بلاءًا شديداً ، ورأى في اتصالهم به ببلاد المعرفة أمورهم وفهماً لمدى قوتهم [4].

أعدّ الأمير عبد الرحمان الثاني سفارة تعود مع سفارة النورمان كما يذكر ابن دحيه "**فأمر الغزال أن يمشي برسالته مع رسل ملكهم ، لِما كان عليه الغزال من حدة الخاطر وبديهة الرأي وحسن الجواب والنجدة والأقدام والدخول والخروج من كل باب وصحبه يحي ابن حبيب فنهض إلى مدينة شلب وقد أنشأ لها مركب كامل الآلة ورجوع ملك المجوس على رسالته وكوفئ على هديته ومشى رسول في مركبهم الذي جاءوا فيه مع مركب الغزال فلما حادوا طرق الأعظم**

[1] إبراهيم محمّد آل إبراهيم، المرجع السابق، ص107.

[2] وهي مدينة بالأندلس بالقرب من قرطبة بينهما مسيرة ثلاثة أيام ومن الأميال ثمانون واسم إشبيلية باللسان اللطيني إشبالي ومعنى ذلك المدينة المنبسطة. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص18. العذري، المصدر السابق،95.

[3] الحافظ مجد الدين أبو الخطاب عمر ابن الحسن ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد أحمد بدوي ،القاهرة، 1954م، ص138-139.

[4] إبراهيم أحمد العدوي، المرجع السابق ،ص112.

الداخل في البحر الذي هو حدّ الأندلس في آخر الغرب [المحيط الأطلس] وهو جبل معروف بوليه هاج عليهم البحر وعصفت بهم ريح شديدة وحصلوا في الحد"[1]

وقد وصف يحي الغزال هذا المشهد قائلا:

قال له يحي وصرنا بين الموج كالجبال
وتولتنا رياح من دبور و شمال
شقت القلعين و أنبتت عرى تلك الجبال
وتمطى ملك الموت إلينا عن حيال
فرأينا الموت رأي ال عين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا يا رفيقي رأس مال[2]

وبعد أن نجا الغزال ومن معه من أهوال البحر، وصلوا إلى أول بلاد المجوس وهي جزيرة من جزرها فقاموا فيها أياما وأصلحوا مراكبهم، ثم تقدم مركب المجوس لإبلاغ ملكهم بقدوم الرسل معهم، فسُرّ ملك المجوس لقدوم الرسل وطلبهم إلى حين كان يسكن في إحدى الجزر الكبيرة، أمر لهم بمنزل يسكنون فيه بعد أن أخرج إليهم من يستقبلهم، وقد احتفل المجوس بقدوم السفراء العرب وعاملوهم باحترام وقد عجبوا من أزياء العرب وأشكالهم، ثم استدعاهم بعد يومين للمثول أمامه، واشترط الغزال أولا أن لا يطلب منهم الملك شيئا يخرجهم عن تقاليدهم العربية أو يتنافى مع تعاليم دينهم كأن لا يسجد ولا يركع للملك. فأجابهما إلى ما طلبوا وجلس في قاعة الاستقبال في أبهى زينته إلا أن ملك النورمان (الفايكنغ) أراد أن يحتال على يحي الغزال ويحمله على السجود دون أن يشعر بالخدعة المبيّتة[3]، "**وأمر بالمدخل الذي يفضي عليه، فضيق حتى لا يدخل عيه أحدا إلا راكعا**" غير أن يحي الغزال تنبّه لتلك الحيلة، فلما وصل إلى باب القاعة جلس على الأرض وقدّم رجليه وزحف على أليته، وعندما تجاوز المدخل استوى واقفا[4].

[1] ابن دحية، المصدر السابق، ص139.

[2] نفسه، ص139.

[3] نفسه، ص141.

[4] نفسه، ص140- 141.

فيتضح من خلال شرط الغزال بعدم سجوده للملك أنّ العادة المتبعة عند النورمان (الفايكنغ) هي تعظيم الملك من خلال الركوع والسجود بحضرته، ولأن السفير يحي ابن الحكم الغزال مسلم وقادم من دولة إسلامية وممثّل عنها، فقد التزم بموقفه هذا بتعاليم الدين الإسلامي الذي لا يجوز لمسلم السجود والركوع إلا لله[1].

وبهذا أعطى يحي الغزال صورة رائعة عن مواصفات السفير وما يجب أن يتمتّع به وهي الصفات نفسها التي ذكرتها كتب السياسة والأحكام السلطانية. استعدّ ملك الفايكنغ للاحتفال بالسفراء فأظهر السلاح والزينة كاملة، فلم يهتم الغزال لذلك وما هاله ما رأى وإنما ارتجل قائلا :" **السلام عليك أيها الملك وعلى من ضمه مشهدك، والتحية الكريمة لك ولا زلت تتمتع بالعز والبقاء والكرامة الماضية بك إلى شرق الدنيا والآخرة المتصلة بالدوام في جوار الحي القيوم، الذي كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه المرجع**"[2] ثم فسر الترجمان ما قال له السفير يحي الغزال، فانبهر به واستعظمه ووصف الغزال بأنه حكيم وداهية، وقد أُعجب الملك من الطريقة التي تعامل بها الغزال، عندما أرادوا إذلاله وإدخاله راكعا فجلس على الأرض وقدّم رجليه في الدخول وبهذا قابل وجوههم بنعليه وقال الملك :" **لولا أنه رسول لأنكرنا ذلك عليه**"، ثم قدّم الغزال كتاب الأمير عبد الرحمان الثاني إلى الملك، ولما قرأ المترجم كتاب الأمير عبد الرحمان استحسنه الملك وأخذه في يده ورفعه ثم وضعه في حجره، وأمر بالهدية ففتحت ووقف على جميع ما اشتملت عليه من الثياب والأواني. وأعجب الملك بتلك الهدية، وأمر بهم فانصرفوا إلى منزلهم ووسع الجراية عليهم، وبعدها التقى بزوجة الملك "تودا"التي أعجب بها[3].

وعاد الغزال إلى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهرا، وكانت عودته عن طريق شنت ياقب، وكان ملك النورمان المجوس قد أرسل معه كتابا إلى صاحبها وهو ملك جليقية وليون والظاهر أنه كتاب توصية وجواز، لكي يستطيع السفير المسلم وزملائه اختراق المملكة النصرانية الشمالية، في

[1] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص122.

[2] ابن دحية، المصدر السابق، ص141.

[3] نفسه، ص141-142.

طريقهم إلى الأندلس، وقد اخترق بالفعل مملكة ليون وسار إلى طليطلة ومنها إلى قرطبة والمرجح أن وصوله إلى قرطبة كان سنة 232هـ وأواخر سنة 846م[1].

بعد الإطلاع على تفاصيل هاته السفارة نجد هناك استفهامين غير مفهومين وهما: ما تاريخ وجهة هاته السفارة؟ ومن الملك الذي استقبل الغزال؟. فالمراجع التي ذكرناها سابقا لا تتفق حول وجهة هاته السفارة. فنذكر على سبيل المثال لا الحصر مُحَمَّد عبد الله عنان وإبراهيم مُحَمَّد آل مصطفى فيذكران أن وجهة السفارة كانت الدنمارك، أمّا إبراهيم أحمد العدوي فيذكر أنها ايرلندا وقد ناقش هاذين الإستفهامين وحددّ وجهة يحي الغزال إلى النورمان بإقامة الحجج والأدلة الدكتور عبد الرحمان علي الحجي في أطروحته الموسومة بعنوان العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية خلال المدة الأموية (138هـ-366هـ/755م-976م)[2] .

ويذكر ابن دحية أن السفارة الأموية الأندلسية منذ تركت الأندلس إلى عودتها إلى قرطبة استغرقت عشرين شهرا. وفي طريق عودتها تأخرت شهرين في شنت ياقب، هكذا يمكن أن تكون بقيت عند النورمان (الفايكنغ) نحو سنة واحدة ووصولها إلى قرطبة كان حوالي 23هـ/سبتمبر846م[3].

أما وجهتها كما ذكرنا سابقا تختلف بين الدنمارك وايرلندا:

فالفايكنغ النرويجيين في ايرلندا ليسوا بالسكان الأصليين وهذا يظهر من خلال وصف الغزال أن البلد الذي زاره كان موطن المجوس (النورمان) كل أهل الجزر كانوا مجوسا وهو الحال الذي ليست عليه ايرلندا، كما أن النرويجيين في ايرلندا مشغولين بإخضاع أهلها، الأمر الذي يجعلها بعيدة الاحتمال أن يكونوا مهتمين ببلد بعيد كالأندلس وهذا بالتساوي حجة ضد الفايكنغ النرويجي الأصل غزاة في الأندلس. فكان ملك ايرلندا ترجسturgeis غرق في بحيرة سنة (231هـ/845م). الأمر الذي يناقض هذه الفكرة، حيث أن وفاته خلال مكوث الغزال في ايرلندا. موت الملك حادث مهم الأمر الذي كان لا بد أن يذكره يحي الغزال، لكن المطلع على رواية ابن دحية يستنتج أن ملك النورمان كان ما يزال حيا، عندما أبحر الغزال إلى إسبانيا حول رمضان 23هـ/مايو846م تخبرنا روايته

[1] ابن دحية، المصدر السابق، ص146. مُحَمَّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص285.

[2] عبد الرحمان علي الحجي، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية، ص243.

[3] ابن دحية، نفسه، ص146.

أن ملك الفايكنغ زوّد الغزال برسالة إلى ملك ليون، بينما موت ترجس كان في(231هـ/845م) هذه حجة[1].

وهجوم النورمان على الأندلس توقف في(245هـ/859م)هذا يشير أن الذين أبرموها كانوا دنماركيين وكانت مع ملكهم هوريك الذي توفي (240هـ/854م) هذه الحجة كذلك تؤكد أن الفايكنغ الدنماركيين هم الذين هاجموا الأندلس وليس النرويجيين، أما ترجس خلال هجوم الفايكنغ الأول على الأندلس كان مشغولا بتأمين حالته في ايرلندا وقمع الثروات القائمة من أهلها، وهكذا لم يكن لديه الوقت ليهاجم بلدا بعيدا كالأندلس[2].

ووصْف الغزال للجزر التي زارها فيؤكد أن القطر الذي قصده ورفيقه هو الدنمارك، فقد كانت في ذلك مستقر لملك النورمان (المجوس) وكان ملكهم عندئذ يشمل الدنمارك وما حولها من الجزائر، وقسما من اسكندناوة وألمانيا الشمالية وكان يجلس على عرش النورمان في ذلك الوقت هوريك الذي وصل إلى الحكم سنة (229هـ/844م)[3]، فقد كان هوريك مسالما ليس فقط مع الدولة الأموية في الأندلس التي أقام معها علاقات بعيدة مع الآخرين[4].هذه الحجج تؤكد أن مهاجمي الأندلس كانوا النورمان (الفايكنغ) الدنماركيين التي يجب اعتبارها الوجهة الحقيقية للسفارة[5].

فهناك من يعترض ويرفض من وجود مثل هذه السفارة، ففي الغالب المؤرخ ليفي بروفنسال الوحيد من يعترض على رواية ابن دحية المتأخرة ويعطي حججا مبعدا إياها، باعتبارها مجرد أسطورة وقصة شعبية (رومانسية) التي اخترعت في القرن السادس هجري/الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين، وأن رحلة الغزال كانت موجهة إلى بيزنطا نفسها استنادا إلى ما رواه ابن حيان[6]، وقد اعتمد على حجج نذكر منها:

أن المؤرخين المسلمين الأوائل (المبكرين) مثل ابن حيان لم يشيروا بمثل هذه السفارة المؤلف المتأخر الذي أنفق جزء من حياته في المشرق وتوفي بالقاهرة، حيث ألف كتابه المطرب

[1] ابن دحية،المصدر السابق، ص140. عبد الرحمان علي الحجي، نفسه، ص245،247.

[2] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص245- 246.

[3] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص284.

[4] عبد الرحمان علي الحجي، نفسه، ص244.

[5] نفسه، ص247.

[6] سيمون الحايك، عبد الرحمان الأوسط، (دط)، المطبعة البولينية، لبنان، (دت)، ص73.

في(633هـ/1235م) فهو الوحيد الذي ذكر هذه الرواية التي اقتبسها الآخرون ورغم أن هذا السبب القوي فهو غير قابل للتبرير كليا واستنتاجاته لعلّها ذكرت من قبل المؤرخين ومنهم ابن حيان الذي ضاع نتاجه كما حدث لكثير من المصادر خاصة الأندلسية. يظهر هذا الافتراض معقولا حيث أن ابن دحية نفسه اقتبس هذه المرحلة من تمام ابن علقمة المعاصر للغزال، فابن دحية عادة لا يذكر مصادره[1].فالمقري الذي كان مؤرخا كفؤا ويدقق في نقل الأحداث وعندما لا يكون متأكد يقول الله أعلم، فيذكر هذه السفارة مقترنة مع سفارة القسطنطينية فلا يعلّق عليها أو يبدي شك فيها[2].

ونجد حسين مؤنس يناقش رأي ليفي بروفنسال ويفنده تفنيدا علميا فيخرج من هذه المناقشة بترجيح صحة سفارة يحي الغزال إلي بلاد النورمان وهو ما يميل إلى الأخذ من خلال تفاصيل الرحلة وما جاء فيها، والتي تؤكد أن الغزال قام بسفارتين مختلفتين: إحداهما إلى القسطنطينية والثانية بعد غزو المجوس(الفايكنغ) لسواحل الأندلس في سنة 230هـ وفق أورده ابن دحية[3]. فإن اتبعنا سير تلك السفارة من الناحية الجغرافية منذ انطلاقاتها من الأندلس حتى بلوغها مقصدها بلاد النورمان لاحظنا أن مناطق التي مرت بها خلال سير تلك الرحلة[4] تقع كلها على سواحل محيط الأطلس، أو بالقرب منه والذي بدوره يوصل إلي شمال أوربا فضلا عن أهوال البحر الذي وصف موجته السفير يحي الغزال بأنه كالجبال مثلا ووصفه لشدة الرياح، وهذا الوصف ينطبق على المحيط الأطلسي أكثر منه على البحر الأبيض المتوسط الموصل إلى القسطنطينية[5].

وفي وصف الغزال للموج وشدة الرياح يقول:

قال لي يحي وصرنا بين الموج كالجبال

و تولتنا رياح من دبور وشمال[6]

[1] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص149.

[2] المقري، نفح الطيب، ج2، ص257- 258.

[3] سيمون الحايك، المرجع السابق، ص73.

[4] اتجاه الرحلة، انظر: الملحق رقم8.

[5] إبراهيم محمد آل مصطفى، المرجع السابق، ص131- 132.

[6] ابن دحية، المصدر السابق، ص139.

وهناك دليل آخر واضح في شعر الغزال وفيه يقول :

أفي تعلقت مجوسية تأبى لشمس الحسن أن تغربا[1].

إن في هذا البيت الشعري تعبيرا واضحا عن الحب الذي يكنّ إلى من سمّاها المجوسية، وهي الملكة(نود) زوج الملك النورمان عندما وصف حسنها وجمالها، فلا يمكن أن تكون إمبراطورة بيزنطية نصرانية[2].

استطاع يحي الغزال أثناء إقامته في بلاد النورمان أن يعرف طبيعة عيشهم وقد ترتّب عن التقرير الذي قدّمه الغزال، نشأة البحرية الأندلسية في الشمال، إذ أدرك الأمير عبد الرحمان الثاني ضرورة مواجهة سفن الفايكنغ في عرض البحر قبل الهجوم المفاجئ وإفساد غاراتهم المخربة[3].

أمّا الأثر السياسي لهذه الرحلة فقد كان نجاح الغزال مرحليا، ذلك أن النورمان ما لبثوا أن أعادوا الكرة ثانية بالغزو والهجوم على الأندلس، أمّا قيمة الرحلة من الناحية الأدبية كبيرة جدّا، فتصوير الغزال لرحلته جاء في طابع قصصي جميل ولا سيما عندما طلب الغزال الانحناء للإمبراطور حالة رؤيته[4].

يتضح من خلال هذا المبحث أن السفارات بالأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، التي تبادلتها سواء مع العالم الإسلامي أو المسيحي كانت إمّا لعقد معاهدات صلح أو صداقة أو مجاملة، فقد كان الأمويّون بالنسبة لهم جيران خطيرون يُحسب لهم ألف حساب، وهذه السفارات لم تتعدّى سوى البعثات والهدايا في أغلب الأحيان، لكن لم تصل إلى درجة التحالف.

---

[1] ابن دحية،المصدر السابق، ص144. المقري، المصدر السابق، ص257.

[2] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص132- 133. سيمون الحايك، المرجع السابق، ص74.

[3] إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص123- 124.

[4] شريف مفلح، **رحلات يحي الغزال الأندلسي**، مجلة التراث الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع66، يناير1997م، ص139.

المبحث الثالث: السفارات بالأندلس خلال عصر الخلافة الأموية

1-السفارات بين الخلافة الأموية في الأندلس ودويلات العالم الإسلامي.

1-1 السفارات بين الخلافة الأموية في الأندلس والمغرب الإسلامي:

1-1-1- دولة الأدارسة.

1-1-2- دولة برغواطة.

1-1-3- دولة الفاطميين.

1-2- السفارات بين الخلافة الأموية والمشرق الإسلامي:

1-2-1- دولة مصر.

2- السفارات بين الخلافة الأموية والعالم المسيحي:

2-1- بيزنطا.

2-2-فرنسا.

2-3- إسبانيا.

2-4- ألمانيا.

1-السفارات بين الدولة الأموية في الأندلس والعالم الإسلامي.

1-1-السفارات بين الدولة الأموية في الأندلس ودويلات المغرب الإسلامي.

1-1-1-الأدارسة:

تراوحت العلاقات الإدريسية الأندلسية في عصر الخلافة بين الودّ والعدائية وتحكّمت بها الظروف السياسية والعسكرية، كما أنّ التّقلب في ميزان القوى العسكرية بين الأمويين والفاطميين كان سببا في ذلك، فعندما يميل الميزان لصالح الفاطميين ينظم الأدارسة صفوفهم والعكس صحيح والراجح أنهم اتّبعوا أسلوب المتقلّب في الولاء السياسي للمحافظة على أملاكهم [1].

ففي سنة 320هـ/931م: بعث الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله (300هـ-350هـ/912م-931م) برسالة[2] إلى شيخ مكناس موسى ابن أبي العافية[3] يأمره بتأهب، لاستئصال شأفة الفواطم من إفريقية وقطع دابر العباسيين في المشرق، وتخليص البيت من عبث القرامطة ووعده بالمكافأة والإطلاق ورفعة المنزلة[4]، فقد كان هدف الناصر لدين الله هو توحيد العالم الإسلامي تحت لواء الخلافة الأموية في قرطبة بعد إزالة الخلافة الفاطمية، وقطع دابرها من إفريقية والمغرب. ومن المعروف أن فكرة توحيد المغرب والمشرق قد راودت الخلفاء العباسيين في بلاد المشرق كما صارت تراود الفاطميين كذلك، ففكّر الناصر في تحقيقها خصوصا بعد أن توفر لديه الكثير من النفوذ والسلطة في بلاد المغرب والعدوتين[5].

وفي سنة 323هـ/934م: وصلت سفارة إلى قرطبة من إبراهيم وأبي العيش أبناء موسى الحسينيين إلى الناصر لدين الله، يخبرانه فيها عن هزيمة موسى ابن العافية أمام الجيش الفاطمي ولجوئه إلى الصحراء ملتمسان المساعدات والإمدادات العسكرية لمقاومة ميسور الخصي غلام أبي

---

[1] مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص326.

[2] انظر الرسالة كاملة، الملحق رقم9.

[3] هو الأمير موسى ابن أبي العافية أبي باسل ابن أبي الضحاك ابن مجد وابن تام ريس ابن فارسي، ابن ونيف ابن مكناس ابن ورسطيف لمكانسي أمير مكناس ملك مدينة فاس في سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة وتوفي سنة أحد و أربعين وثلاثمائة. انظر: أبي زرع، المصدر السابق، ص83.

[4] عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ص288.

[5] نفسه،ص155.

القاسم ابن مهدي، كما أنها جاءت لتجددّ ولاءها للناصر لدين الله متبرئين من التهمة التي نسبت إليهم، وهي المشاركة في الحرب مع الشيعة ضدّ موسى ابن العافية، وقد جاء في رسالتهم[1] التي سلموها للعامل الأندلسي مايلي:"... **بلغنا أنه نُمي إلى سيدي أمير المؤمنين أنا توجهنا إلى الفاسق إلى الميسور لا يسر الله أمره على أسوء الوجوه، ولم يكن ذلك أكرم الله سيدنا أمير المؤمنين. يبادرنا إلى قائده مُحَمَّد ابن حزب الله صاحب سبته بالرهائن التي تكون وثيقة على طاعتنا وأسلم إليه و مع ذلك رهائن كلّ من انضوى إلينا من البربر حتّى يقتنع بالتوثقة** "كما يذكر ابن حيّان[2].

ويبدو أنه بالرغم ما عبّر عنه الأدارسة في رسالتهم من طاعة للخليفة الأندلسي وولائه له، فإنهم غير صادقين فيما يقولون، وأنهم كانوا غير مخلصين للناصر لدين الله، وإنّما اتخذوها مطية لكسب رضاه وتفادي غضبه حتّى لا تثور عليهم القبائل البربرية الموالية له في المغرب، والظاهر أن الناصر لدين الله على بيّنة من ذلك، وإنما كان يمنحهم الفرص لعلّهم يصدقون[3]. فعندما قدم ميسور الخصي استعان ببني إدريس ضد موسى ابن أبي العافية واعتنى بهم، ووفّى لهم حقّهم فانجلى ابن أبي العافية أمامهم إلى الصحراء، وصار كل ما كان لبني العافية لبني إدريس، وكانت الرياسة فيهم لبني مُحَمَّد ابن القاسم، وهم الحسن وقنون وإبراهيم[4].

ونجد أيضا أن الخليفة الناصر لدين الله يرسل ببعثة طبية مزوّدة بالأدوية للأمراء الأدارسة فابن حيّان يذكر **في سنة (328هـ /939م) من أواخر ذي القعدة:** أنه وصلت رسالة إلى الناصر لدين الله من الأمير أبي العيش وإبراهيم أخيه يسألانه إنفاذ طبيب من أطبائه لعلاج علّة بأحدهما استعصى علاجها على من عندهم، فبادر الناصر لإسعافهما بما طلباه، فأخرج إليهم الطبيب سليمان ابن عبد الملك المعروف بابن باج، بعد أن فتح له خزائن الصيدلة ليحتمل منها ما يصلح

[1] انظر الرسالة الكاملة، الملحق رقم8.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص293.

[3] نفسه، ص163.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص209-210. السلاوي، المصدر السابق، ص83.

لعلاج العلّة التي ذكراها من الأدوية والأشربة والعقاقير وغيرها ونفذ سليمان نحوهما وداوى علّتهما و أقام عندهما مدّة[1].

وفي سنة (333هـ/ 945م): قام أبو العيش ابن عمر ابن إدريس بإرسال ولده مُحَمَّد ابن العيش سفيرا عنه إلى قرطبة لتأكيد الطاعة، فاحتفل السلطان لدخول الأمير سفيرا احتفالا عظيما وركب الوفد مع مستقبله من قبل الناصر للقاء أحمد ابن يعلى في أهبة راقت العيون وانشرحت لها الصدور. ووصل الأمير إلى قصر الزهراء وقعد له الناصر أفخم القعود واستقبله وأبلغ في تكريمه، ثم خرج عنه في نفس الهيئة التي دخل بها عليه وقد أقام بقرطبة سنة قبل أن يرجع للمغرب على أن يعود بعد خمس سنوات للعاصمة الأندلسية في مهمّة مماثلة [2].

وفي سنة 338هـ/949م: أوصل الأمير مُحَمَّد ابن أبي العيش الحسن مرة أخرى سفارة عن أبيه فاستقبله الناصر وأبلغ في كرمته، ثم بلغ الخبر بوفاة الأمير أبي العيش فأوصل الناصر مُحَمَّد نفسه وعزّاه عن والده وعقد له عن عمله ووصله وخلع عليه وعلى الوافدين معه وصرفهم، فخرج مُحَمَّد مبادرا إلى عمله بالمغرب[3]. أمّا في عهد الحكم المستنصر بالله (350هـ-366هـ/961م-976م) فقد قام الأدارسة بتجديد الولاء والطاعة للأمويين، فقد تتابعت الرسل والوفود بتقديم الطاعة وتدعيم الصلة بينهما وتلتمس المساعدات العسكرية لحكومة قرطبة لمواجهة الخطر الفاطمي[4].

في منتصف شوال عام 356 هـ: وصل سفيران إلى قرطبة عن أمراء الأدارسة قعد لها على السرير بالزهراء قعودا بهيا احتفلوا فيه، وتسلم منهما الكتاب الذي يذكرون فيه على أنهم على محبة صادقة ومودة متحكمة مع التزامهم للطاعة واعتقادهم للولاية فادني رسوليهم ، وألطف جوابيها[5].

وفي محرم سنة 360هـ: "قعد الخليفة المستنصر بالله على السرير بقصر قرطبة على جرى العادة من الاحتفال والزينة، فاستقبل عيسى ابن مُحَمَّد ومُحَمَّد ابن العالي وحسن ابن علي الرسل ابن مُحَمَّد الحسنين أمراء الغرب فأوصلوا كتاب مرسليهم وذكروا إمامهم عليه من طاعة،

---

[1] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص186.

[2] نفسه،ص188. ابن عذارى، المصدر السابق،ج2،ص212. .

[3] نفسه،ص216

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ص186

[5] ابن عذارى، نفسه 139-140.

وطلبوا بعثة رماة تقوية لهم لما يتوقعونه من حركة المد الشيعي نحوهم وتقربوا بإهداء خيل و جمال وغير ذلك فقبلت منهم"[1].

وفي آخر جمادى عام 362هـ: "قدم إلى قرطبة رسول حنون ابن إدريس صاحب مدينة الأقلام بالعداوة ورسول عبد الكريم صاحب مدينة القرويين من مدينة فاس يرغبان في دخول في طاعة أمير المؤمنين المستنصر بالله والقيام بدعوته، فكرّما رسولهما وأجمل موعدهما"[2].

1-1-2- دولة برغواطة:

بالإضافة إلى علاقات بني أميّة في الأندلس مع الأدارسة وبني مدرار، نجد أن لها صلة وطيدة ببرغواطة[3]في تامسنا[4]. فيبدو أن العلاقة بينهما ظهرت مبكرا وذلك بنشوء تحالف ودّي بين الإمارتين حيث تذكر المصادر التاريخية أن صالح ابن طريف أوصى ابنه إلياس بموالاة بني أميّة ومناهضة أمراء المغرب قبل رحيله إلى المشرق[5]. إلاّ أن هذا التحالف والود لم يستمر طويلا بسبب انتحال البرغواطيين الديانة الجديدة وإظهارها وإجهارها، لذلك كرههم المسلمون في المغرب والأندلس واستحلّوا دماءهم لأن هؤلاء البرغواطيين أصبحوا في نظر المسلمين مجوسا مارقين على الدين[6].

وظلت العلاقات بين قرطبة وبرغواطة على هذا النحو يشوبها الفتور حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، حيث جدّد ولاء برغواطة للأمويين في الأندلس أبو منصور عيسى ابن أبي

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ص241.

[2] ابن حيان، المقتبس،تح:عبد الرحمان علي الحجي، (دط)،دار الثقافة ،بيروت،1965م،ص103.

[3] قبيلة من قبائل مصمودة كان كبيرهم الأول من المائة الثانية من الهجرة وهو طريف ابن صالح وكان من قواد ميسرة القائم بالدعوة الصفرية، ولما قُتل ميسرة بقي طريف قائما بأمرها بتماسنا. ويقال أيضا أنه تنبأ فشرع لهم الشرائع ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح. انظر: ابن خلدون، ج6، ص276.

[4] و يقال لها أيضا بلاد السوس الأدنى، وهي إقليم تابع لمملكة فاس يبتدئ غربا عند أم الربيع و ينتهي إلى أبي الرقراق شرقا والأطلس جنوبا وشواطئ البحر المحيط شمالا. انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص216.حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر:مُحَمَّد حجي،مُحَمَّد الأخضر، ج1، ط2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ص194.

[5] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح :عبد الحميد سعد زغلول، (دط)، دار النشر المغربي، الدار البيضاء، 1985مص198. ابن خلدون، نفسه، ص277. ابن الخطيب، المصدر السابق،ج3،ص183. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص113.

[6] عبد العزيز فيلالي، نفسه، ص 113.

الأنصاري عبد الله ابن أبي غفير، بإرسال سفارة يرأسها أبو صالح زمّور بن موسى ابن هشام إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله، وذلك في شوال اثنين وخمسين وثلاثمائة " **كان الترجمان الذي يرافق السفير ويخبره بجميع ما يقول هو أبو موسى عيسى ابن داوود بن عشرين السطاسي...**".[1]

1-1-3- الدولة الفاطمية:

اتّسمت العلاقة بين الأمويين في الأندلس والفاطميين[2] بالعدائية، وهي استمرار للنزاع القديم الذي قام في المشرق بين الأمويين والعلويين. ومما لا شك فيه أن قيام دولتين متجاورتين على أسس مذهبية مختلفة كان كافيا بأن يسبّب صداما بينهما، فقد نظر الفاطميون إلى الحكم الأموي في الأندلس على أنه امتداد لخلافة دمشق لذلك كانت لهم أطماع في الأندلس، كما أن التوسع الفاطمي في المغرب الأوسط والأقصى هدّد الأمويين ، لهذا عمل الناصر لدين الله على استقطاب الأنصار مثل الأدارسة وبني صالح وحثّهم على محاربة الفاطميين ووعدهم بالمساعدة حتى يحكم الطوق على الفاطميين، وسعى إلى محالفة بربر زناتة المعادين لهؤلاء، وأخذت الرسائل والوفود الزناتية ترد إلى قرطبة معبرة عن هؤلاء الأمويين وحاملة أخبار الفاطميين رغم العداء الكبير الذي كان بين الطرفين[3].

إلّا أنّنا نجد محاولة لربط العلاقات بين الأمويين والفاطميين، وهذه المحاولة تجاهلها مؤرخو الأندلس على وجه الخصوص وقد استأثر بالتعرض لها مؤرخو الشيعة خاصة القاضي النعمان صاحب كتاب المجالس والمسايرات، وتعلق الأمر بمحاولة الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله التي تهدف إلى إبرام الصلح مع العبيديين [4].

---

[1] البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص134-135 .

[2] عُرفوا بالإسماعيلية أو السبعية أو الباطنية، ولكنهم حرصوا أشد الحرص على أن يعرفوا بالعلويين أو الفاطميين نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت النبي – صلّى الله عليه وسلم – لكن هذا النسب كان و لا يزال موضوعا كثرت فيه أراء الكتّاب والمؤرخين الأقدمين والمحدثين، واسم العبيديين هو الشائع في الكتابات التاريخية وذلك نسبة إلى عبد الله المهدي.انظر : سوادي عبد مُحَمَّد، صالح عمار الحاج، دراسات في التاريخ الإسلامي، ط1، الناشر المكتب المصري، القاهرة، 2004م، ص134.

[3] مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص320-321.

[4] عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص196.

ففي أعقاب هدنة (**346هـ/975م**) بين المعز لدين الله[1] الفاطمي والرّوم بعد انتصاره عليهم[2]، وانتهى الخبر إلى "الأموي الخاسر[3] فخاف الوقيعة به فدس رسولا من قبله وكتب كتبا على لسان بعض رجاله إلى بعض رجال أمير المؤمنين في الموادعة والصلح وكفّ الحرب، ويذكر ما يتوقع في ذلك من سفك دماء المسلمين واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين . وجاء الرسول بالكتاب وأدى بلسانه عن الخائن ما لم يؤد الكتاب من طلب منه الصلح والألفة وكفّ الحروب والفتنة، وذكرك ذلك لأمير المؤمنين شفاها [4]...

يظهر من خلال هذا النص أن الناصر لدين الله كان هدفه من وراء إرسال رسله للمعز لدين الله الفاطمي هو كسب الوقت، فبعد هزيمته في شمال إفريقية أمام الفاطميين وإخفاقه من الناحيتين الحربية والسياسية وكذلك إخفاق البيزنطيين الذي تحالف معهم في صراعهم مع الفاطميين ، فقد كان الناصر لدين الله يعلم أن الغلبة تقرّها القوّات البحرية وحدها، فبذل جهودا جبّارة في إعداد أسطول ضخم ومن ثمّ لم يجد عمال دور الصناعة وقتا للراحة، وبذلك استطاع أن يشحن جميع موانئ بلاده بالسفن البحرية، وبينما المعدات قائمة على قدم وساق في شبه الجزيرة الأيبيرية كانت رسل الناصر لدين الله تغدوا وتروح في حاضرة الفاطميين، لهذا كانوا يستميلوهم تارة ويهدّدونهم أخرى من أجل ربح الوقت وإعداد العدّة لمواجهتهم[5].

---

[1] هو المعز لدين الله أبو تميم المعز ابن المنصور أبي طاهر ابن القائم أبي قاسم مُحَمَّد ولد بالمحمدية سنة 319هـ وذلك في أواخر عهد الخليفة المهدي بالله ، يعتبر الخليفة الرابع، تولّى الحكم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، استولى على جميع البلاد الإفريقية على البحر الأبيض المتوسط ماعدا طنجة وسبتة ومدة أيامه ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوم. انظر:أبو العباس تقي الدين أحمد المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح:جمال الدين الشيال، ط2، المجلس الأعلى للشؤون، القاهرة، 1996م، ص93. حسن إبراهيم حسن ومُحَمَّد شرف، المعز لدين الله أمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر، (دط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م، ص9.

[2] عبد الهادي التازي،المرجع السابق،ص196.

[3] الخاسر لتجنيس لقب"الناصر".انظر:القاضي مُحَمَّد نعمان، المجالس والمسايرات، تح:الحبيب الفقهي، إبراهيم شيوخ ومُحَمَّد اليعلاوي ،ط2، دار المنتظر، بيروت، 1996م، ص164.

[4] القاضي نعمان، نفسه، ص167.

[5] حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، نفسه، ص40،42.

أمّا بخصوص هزيمة الناصر لدين الله أمام الفاطميين في شمال إفريقية فيذهب ابن عذارى إلى القول بأنّ الناصر لدين الله استطاع أن يخرب أحدى موانئ شمالي إفريقية وأمر بلعن الفاطميين على منابر الأندلس، عكس ما تراه بعض المصادر الإسماعيلية أن الهزيمة حلّت بالناصر لدين الله[1].

وهذا بعض ما ورد في الجواب الذي أمر المعز لدين الله بإرساله إلى الناصر "وأمّا ما تخوفه من الحرب والفتنة وسفك الدماء، فما ظهر له منّا ما يتخوف منه ذلك، وما نحن بمن يؤمنه منه لكنه بغي علينا من بغي من أهل عمله فانتصرنا بالله فنصرنا الله وبلّغنا فوق آمالنا، فقام وقعد، وأبرق وأرعد،والى علينا المشركين {أن الناصر استعان عليه بالرّوم المسيحيين} الذي رأى الآن أن اشتغالنا به و اشتغاله بنا داع إلى ترك جهادهم و أنّ ذلك نقص و وكف على الإسلام. فهلاّ رأى ذلك إذ بعث بأمواله وهداياه ورسوله إليهم واستنصر علينا بهم. فكيف رأى الله عز وجل فعل بهم وبجمعيْهم؟ ألم يصرف الجمعين مغلوبين خائبين خاسرين؟و نحن ما رأى منّا إليه حركة فما هذا القلق وهذه العجلة ؟.

وأما ما دعا إليه من السّلم والكفّ والموادعة والصّلح وهو يزعم أنَّه أمير المؤمنين كما يتسمّى دون من سلف من آبائه، وإمام الأمة بدعواه وانتحاله[2]، ونحن نقول: إنا أهل ذلك دونه ودون من سواه ونرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا و ادّعاه، مع بين أسلافنا وأسلافه، ومن مضى من القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة والبغض في الإسلام والجاهلية وما اعتقدوه لنا في ذلك في الإسلام، وطالبونا به من قديم الأيام لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله آباءهم وقتل من قتله الشرك والكفر بالله منهم، وطلبهم بثأرهم ودمائهم وطلبنا نحن إيّاهم بما قتلوه منّا كذلك في سلطانهم أيّام الله عز وجل: "لَا تَجِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونْ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخَرْ يُوَادُّونْ مِنْ حَادَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانهِمْ أَوْ عَشِيرتَهُمْ، أُوْلَئِكَ

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص220. حسن إبراهيم حسن، وطه احمد شرف، المرجع السابق، ص40.

[2] رأى أن اتخاذ لدين الله لقب أمير المؤمنين تعديا على حق من حقوقه. أي أن أمراء الأسرة الأموية بالأندلس من سلالة عبد الرحمان الداخل والمعلوم أن عبد الرحمان الناصر هو أول من تلقب بالخلافة بالأندلس.انظر:القاضي النعمان، السابق، ص168. عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص198.

كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانْ"[1] أمّا أنا بالمداهن في دين الله ولا بالراكن بالمودة إلى أعداء الله ولا المخادع في أمر من أمور الله.

ارجع بجوابي هذا إليه فما له عندي سواه، ومالي من الأمر شيء،" إِلَى اللهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبْ"[2].فإن حرّكني الله إليه وقذف في قلبي حربه وغزوه فلا أشكّ أن الله عز وجل أراد قطع دابره، واستئصال شأفته وتطهير الأرض من رجسه وحسم أيامه ومدته، وإلاّ يقذف ذلك في قلبي ويصرف إلى من سواه وجهي، فلأمر هو بالغه فيه وإملاء هو محتجّ به عليه ومدّة سبقت في علمه له[3].قال الله عز وجل :"وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا"[4]. فلينتظر أحد الأمرين وليتوقّع وجها من الوجهين: إمّا هلاك يعجّل اصطلاحه وإمّا إملاء من الله يوفر آثامه. ونحن ننتظر من الله عز وجل أحد الحسنين ونرجو منه لنا خير الأمرين: إمّا أن يملى له على ما هو عليه من معاصيه ومساوئه و مخازيه، ففي ذلك سرور من رأي عدوّه عليه.فقد كان يقال: حسبك درك أمل من عدوّك أن تراه عاملا بمعاصي الله، وذلك أن المعاصي تعجّل الدّمار أو تولج عمّا قليل عذاب النار.

وصرف الرّسول، وأمر الذي ورد عليه الكتاب أن يجيب عن كتابه إليه جوابا غليظا و يتواعد فيه ففعل، وانصرف الرسول بالجواب والكتاب"[5].

ويبدوا أنّ تعذر الصلح بين البيتين قد آلم الناصر لدين الله فتوالت رسله ورسائله على الفاطميين، من ذلك أنه أرسل أحد رسله إلى المعز لدين الله الفاطمي يحمل إليه رسالة يستعطفه فيها ويتوعده، ويقول في ذلك القاضي النعمان:" فوقع البائس {أي الخليفة الناصر لدين الله} في المكروه واستولى عليه الخوف فردّ الرسول بكلام لطيف، وكتب الجواب إلى الذي كتب عليه أولا على لسان بعض رجاله بما ألان فيه القول، وسدد واستعطف وتواعد بعد أن جمع–فيما يقال– وزراءه وكتّابه لتأليفه،واحتجّ بزعمه فيه وأنفذه مع الرسول. وأتبعه برسول آخر بكتاب إلى ذلك

---

[1] سورة المجادلة، الآية21.

[2] سورة الشورى، الآية10.

[3] القاضي نعمان، المصدر السابق، ص168.

[4] سورة آل عمران، الآية178.

[5] القاضي نعمان، نفسه، ص168– 169.

المكتوب إليه يخبره أن ذلك الكتاب مفتعل وأنه لا علم له عند صاحبهم به ولا هو عن رأيه ليهدّئوا الأمر[1].

كما يظهر من خلال هذا النص أن الناصر لدين الله كان يرمي من وراء ذلك كما يقول القاضي نعمان إلى تحذير أصحاب المعز لدين الله الفاطمي حتّى يعدّ العدّة لقتاله، فيبدوا أن المعز لدين الله قد أدرك ذلك فقال:"**إنما أراد هذا الفاسق أن يقطع الزمان بهذه المراسلة والمكاتبة بيننا و بينه**"[2]، فخاطب الرسول أمير المؤمنين عليه بالسلام بالخطاب السهل الذي أرسل به، ودفع الكتاب إلى الذي أرسل إليه. وجاء الرسول الثاني بالكتاب الآخر فدفع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقرئ علينا بين يديه، وفيه من التغاير والفساد وسوء التوجيه ما سنذكره. وجعل المعز عليه السلام يحتج لنا على كل فصل منه ويبن لنا عوراه وفساده، فصرف الرسولَ بلا جواب منه سوى أن قال له: قد قيل إن الصدق ينبئ عنك لا الوعيد. وأمر الذي ورد عليه الكتاب أن لا يجيب عنه بحرف، وانصرف الرسول خائبا. وأمر بتجهيز الجيش إلى أرض المغرب كل مَن مال إلى بني أمية بالقتل واجتياحهم عن جديد الأرض. فإذا طهّرها الله منهمّ فيما والاه من البرّ جهزهم إليه إن شاء الله في البحر لقطع دابرهم واصطلاحهم عن آخرهم بحول الله وقوّته.

وكان {في} ذلك من تأييد الله ونصره ما هو المرجو من تمامه و بلوغ الأمل فيه بفضله وإنعامه، إذ فتح في ذلك لوليّه وسبّبه له وحرّكه إليه كعادته الجميلة لديه، عليه السلام"[3].

1-2-السفارات بين الدولة الأموية في الأندلس والمشرق الإسلامي.

1-2-1-مصر:

تميزت العلاقة السياسية بين أموي الأندلس والمشرق الإسلامي بالقطيعة والعداء السياسي خاصة مع العباسيين، منذ سقوط الدولة الأموية بدمشق وتأسيس عبد الرحمان الأول الإمارة بالأندلس وتلقب عبد الرحمان الثالث بأمير المؤمنين، فبالرغم من هذه القطيعة والاستقلال السياسي لأموي الأندلس عن المشرق الإسلامي، غير أنه حدثت بينهما بعض المراسلات

[1] القاضي نعمان، المصدر السابق، ص170-169.حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، المرجع السابق، ص34.

[2] القاضي نعمان، نفسه، ص173.حسن إبراهيم حسن وطه احمد شرف، نفسه،ص43.

[3] القاضي نعمان، نفسه، ص170.

احتفظت بها الروايات الإسلامية. فيذكر ابن خلكان لدى ترجمة نزار العبيدي[1] الملقب العزيز بالله نقلا عن أبي منصور الثعالبي في كتابه (يتيمة الدهر) مايلي:

وسمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن المرواني في صاحب الأندلس كتب إلى نزار صاحب مصر كتابا يسبه فيه ويهجوه، فكتب إليه[2]:" **أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام**"[3] فاشتدّ على نزار وأقحمه عن الجواب.

وذكر أبو الحسن الروحي في كتابه"**تحفة الظرفاء في تاريخ الخلفاء**" أن هذه الواقعة كانت بين الحكم المستنصر بالله ابن عبد الرحمان الناصر لدين الله، وهو المرواني صاحب الأندلس وبين العزيز المذكور، وأن المستنصر كتب إلى العزيز يسبّه ويهجوه، فكتب إليه العزيز هذه الكلمات والله أعلم بالصواب[4]. كما كتب الحكم المستنصر بالله في أول رسالة قصيدة إلى صاحب مصر يفتخر فيها:

ألسنا ببني مروان كيف تقلبت بنا الحال ودارت علينا الدوائر؟

إلى أن يقول

إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابر[5]

ونجد أيضا رسالة أرسلها المنصور ابن أبي عامر لما أصبح سلطة في الأندلس إلى صاحب مصر يتوعده:

منع العين أن تذوق النماما حبها أن ترى الصفا والمقام

لي ديون بالشرق عند أناس قد أحلو بالمشعرين الحراما

إن قضوها نالوا الأماني وإلا جعلوا وزانها رقابا وهاما

---

[1] أبو المنصور نزار الملقب العزيز بالله ابن المعز ابن المنصور ابن القائم ابن المهدي العبيدي، صاحب مصر وبلاد المغرب وولي العهد بمصر يوم الخميس سنة خمس وستين وثلاثمائة. انظر: ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج5، (دط)، دار صادر، بيروت، 1977م، ص371.

[2] نفسه ، ص372. عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص201.

[3] أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد مُحَمَّد قميحة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص360.

[4] ابن خلكان، نفسه، ص372-373.

[5] ابن ثغري بردي أبو الحسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (دط)، وزارة الثقافة، مصر، 1963م، ص149.

عن قريب نرى خيول هشام يبلغ النيل خطوها والشآما

لم يترك العبيديين وسيلة لتعقب وتصفية خصومهم الأمويين في الأندلس، فنعتوهم بأسوأ النعوت من فسوق وإلحاد ومعصية من ملاهٍ وخمور، واكتفائهم بالمخازي واتهامهم بالكذب والخيانة... [1]

2-السفارات بين الدولة الأموية في الأندلس والعالم المسيحي:

بلغت الدولة الأموية في الأندلس خلال عصر الخلافة الصدارة في العالمين الإسلامي والمسيحي لاسيما في عصر الخلافة وابنه المستنصر بالله، فكثرت الوفود والسفارات من كل ناحية لعقد السلم مع قرطبة التي أصبحت قبلة العالم آنذاك ومركز قوي يحسب حسابها[2]. وفي ذلك يقول المقري:" **إنّ الملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، ومهادنة الروم وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة ما سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس، وسائر الأمم إلا ووفدت إليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى هاداه ورغب في موادعته[3]**".

2-1- الدولة البيزنطية:

وفدت إلى قرطبة في عهد الخليفة الناصر لدين الله سفارة أرسلها إلى قسطنطين (300هـ-348هـ/912م-959م) المعروف بالأرجواني أي لابس الأرجوان[4].

واختلفت المصادر الإسلامية في تاريخ تحديد هذه السفارة على وجه الدقة ، فيذكر ابن خلدون يقول أنها كانت في سنة (336هـ-947م)[5] أما المقري فيذكر أنها في صفر سنة (338هـ-

---

[1] ابن الآبار، المصدر السابق، ج1،ص 275. عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص276.

[2] مجدي خليل مُحَمَّد البرد ويل، الإبداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، خالد يونس الخالدي، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م، ص108.

[3] المقري، نفح الطيب، ج1، ص366.

[4] خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص174. عبد الرحمان علي الحجي، العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة، ص71.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4،ص183.

949م)[1]، وابن عذارى فيضعها في نفس التاريخ السابق 338هـ[2] لكنه ذكر سفارة في سنة (334هـ-945م)[3]والواضح أن ابن عذارى ينفرد وحده بالإشارة إلى مثل هذه السفارة. فهو لا يقدم أي تبرير أو تفسير لأسباب حدوثها لما تمّ فيها أو نتج عنها إلا أن السفارتين تشتركان عنده في بعض الأوصاف والأحداث وكأنه تحدث مرتين عن سفارة واحدة، بينما نجد وصفا مقتضبا مشابها عند ابن الخطيب في كتابه إعمال الأعمال من غير إشارة إلى تاريخهما.

الاختلاف في وفود هذه السفارة على الخليفة الناصر لدين الله لا يتجاوز السنة أو السنتين، وهو في الواقع لا يغيّر من مجرى أحداثها أو مغزاها فالسفارات البيزنطية الوافدة إلى قرطبة أيام الناصر كانت أكثر من واحدة[4].

ويذكر ابن خلدون أنه في سنة ستة وثلاثين وفدت على الناصر رسل صاحب القسطنطينية وهو قسطنطين ابن ليون ابن سل وهديته راغبا في المؤلفة واتصال المكاتبة[5]، واستقبل الوفود في قرطبة يوم السبت الحادي والعشرون من ربيع الأول سنة ثلاث مائة وثمان وثلاثين، كان يوما مشهودا في تاريخ قرطبة، ثم سلموا رسالة إمبراطورهم الرسمية للخليفة، وجاء في عنوان الرسالة "**من قسطنطين أرمانيوس المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم" إلى " عظيم الاستحقاق المفخر شريف النسب عبد الرحمان الخليفة الحاكم على العرب بالأندلس أطال بقائه**"[6].

أما عن هدية قسطنطين للخليفة الناصر لدين الله فلا نعرف ماهيتها، والمهم هناك ما ذكره البعض أنها احتوت على كتابين والغريب أن هذا الأمر لم تذكره المصادر السابقة، غير أننا نجد الطبيب الأندلسي أبو داوود سليمان ابن حسان المعروف "بابن جلجل" هو الوحيد على ما يبدو الذي يذكر ماجاء في رسالة قسطنطين التي حملتها هاته السفارة حيث يذكر أنه كان في

---

[1] المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، (دط)، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات المتحدة، الرباط، 1939م، ص 285. نفسه، نفح الطيب، ص366.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص197.

[3] نفسه، ص193.

[4] سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص155.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 183.

[6] المقري، نفسه، ص 368.

مقدمة هدايا أرمانيوس الملك إلى الخليفة الناصر لدين الله،كتابين الّذين أرسلهما سنة (337هـ/948م) أحدهما كتاب ديسقوريدس[1] مصوّر الحشائش بالتصوير الرومي العجيب وكان الكتاب مكتوب بالإغريقي الذي هو يوناني والكتاب الثاني نسخة من تاريخ أورسيوس (هروشيش[2]) صاحب القصص وهو تاريخ الروم العجيب، فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الأوائل وفوائد عظيمة[3].

وكتب أرمانيوس في كتابه إلى الناصر أن ديسقوريدس لا تجتني منه فائدته، إلاّ رجل يحسن اليونانية، ويعرف أشخاص تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزت أيها الملك بفائدة الكتاب. وأما كتاب هروشيش فعندك في بلدك من أللطينيين من يقرأ باللسان الطيني[4]، وإن وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللاطيني إلى اللسان العربي[5].

ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ اللسان الإغريقي الذي هو اليوناني القديم فبقي كتاب ديسقوريدس في خزانة عبد الرحمان الناصر باللسان الإغريقي ولم يترجم إلى اللسان العربي وبقي الكتاب بالأندلس، والذي بين أيدي الناس بترجمة أسطفن الوارد من مدينة السلام ببغداد. حينئذ كتب الناصر في خطابه إلى "أرمانيوس"، أن يرسل إليه برجل يتكلم اليونانية

---

[1] كان من علماء النبات والحشائش الإغريقي المشهورين والصيادلة وهو كتاب الحشائش والنباتات أو هيولى علاج الطب أو كتاب الأدوية المفردة. وقد ترجم هذا الكتاب بمدينة السلام (بغداد) في الدولة العباسية أيام الخليفة المتوكل وكان المترجم له اصطفين ابن بسيل الذي ترجمه إلى العربية وصححه وأجاز هاته الترجمة حنين ابن إسحاق. وقد اعتنى بذلك الكتاب جميع من ألّف في المفردات الطبية منهم ابن جلجل في كتابه "**تفسير الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس**".انظر: موفق الدين أبي العباس أحمد ابن قاسم ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: عامر النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1999م، ص225. أبي داوود سليمان ابن حسان الأندلسي ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد السيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م ، ص21-22.

[2] ألفه باللاتينية باولس أورسيوس المؤرخ الإسباني الذي عاش في القرن الرابع والخامس بعد الميلاد وقد أشار ابن خلدون إليه في مواضع عديدة من تاريخه. انظر: ابن جلجل، نفسه، ص (كط).

[3] مُحَمَّد عبد الله عنان، المرجع السابق،ج2، ص453. ابن جلجل، نفسه، ص (ك).

[4] هذه الأمة من أشهر أمم العالم وهي الثانية الغريقيين عندهم وشيوس ويجتمعان في نسب يونان وموطن هؤلاء الطينيين بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية إلى بلاد فرنجة فيها بين البحر والمحيط والبحر الرومي من شماله، وملك هذه الأمة قديما. انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 232.

[5] ابن جلجل، نفسه، ص (ك).

واللاتينية، ليعلّم له عبيدا يكونون مترجمين، فبعث أرمانيوس الملك إلى الناصر براهب كان يسمى نيقولا (Nikola) فوصل إلى قرطبة سنة 340هـ. وكان نيقولا الراهب عنده أحظي الناس وأخصهم به، وفسر أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولا، وتوفي نيقولا في صدر دولة المستنصر بالله.[1]

يذكر ابن جلجل هنا أن هذه الهدية بعث بها الإمبراطور أرمانيوس، وهذا يخالف ما ورد في مصادر السابقة كابن حيان وابن عذارى وابن خلدون وابن الخطيب ، من أن هذه الهدية بعثت للخليفة باسم الإمبراطور قسطنطين وولده أرمانيوس الثاني، الذي لم يعتلي العرش إلا بعد وفاة أبيه سنة (348هـ/959م)[2] أي بعد التاريخ الذي حدده ابن جلجل نفسه لوصول الهدية بأحد عشر عاما.

يبدوا أنه حدث لبس عند ابن جلجل بين قسطنطين السابع وولده أرمانيوس الثاني، بدليل أنه لم يتحدث عن مكاتبة أرمانيوس الثاني للملك الناصر يقول احسب في سنة 337هـ. ومادام أنه لا ينقطع بهذا التاريخ، الذي انفرد به، فلا يأخذ قاعدة. ولعله كتب هذا الكلام والمصادر ليست بقربه، ليعود إليها بل اعتمد على معلوماته السابقة عنها، أهمل فيها اسم الملك الأصيل وجعله أرمانيوس الثاني بدلا من قسطنطين السابع، بينما هو أمر ثابت لم يختلف فيه المؤرخون، أن ابن جلجل ليس مؤرخا[3]، وبعدها يعود وفد قسطنطين إلى بلده صحبة سفارة أندلسية الجوابية يرسلها الناصر لدين الله مستمدة من عبارة موجزة في نص ابن خلدون السابق وهي " **ثم هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام ابن كليب الجاثليق ليجدد الهدنة ويؤكد المودة، ويحسن الإجابة ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء، وجاءت معه رسل قسطنطين**"[4]. ونجد النص نفسه عند المقري منقولا عن ابن خلدون مختلفا نوعا ما وهو ": **ثم انصرف هؤلاء الرسل، وبعث**

[1] ابن جلجل، المصدر السابق، ص (ك)،(كا).

[2] يحي ابن سعيد ابن يحي الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تدمير عمر عبد السلام تدمري جروس برس، طرابلس-لبنان، 1990م، ص91.

[3] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص88.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص183.

الناصر معهم هشام ابن هذيل، يهديه حافلة ليؤكد المودة ويحسن الإجابة ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما **شاء وجاءت معه رسل قسطنطين** "[1].

يفهم من هذه العبارات أن هذه السفارة الجوابية تعبر عن قبول عرض قبول الصداقة، كما عبرت عن حسن المعاملة والمجاملة حيث لا نعرف محتوى، كما أن السفير الذي أرسله الخليفة الناصر سواء الذي تحدث عنه ابن خلدون، كما أن السفير الذي أرسله الخليفة الناصر سواء الذي تحدث عنه ابن خلدون أو المقري، لا توجد عنه معلومات ولا عن مكانته في الدولة فالمصادر لا تذكر تفاصيل عنهما.

ويمكن تفسير مجيء المبعوثين البيزنطيين آخرين بأن الخليفة هو من طلب من مبعوثه للإمبراطور أن يبلغه رغبته في مترجم[2] لكتاب دسقوريديس سابق الذكر الذي أهداه إياه الإمبراطور[3]. والتاريخ الذي ذكره ابن جلجل لوصول المترجم إلى قرطبة يتفق معه في سنتين على مغادرة السفارة التي كانت في أواخر سنة ثلاث مائة وسبع وثلاثين أو سنة ثلاث مائة وثمان وثلاثين، ومن المحتمل أن بعض المؤرخين عدّ وصول المترجم البيزنطي إلى قرطبة رسولا من قبل الإمبراطور، ثم إن مجيء المترجم في صحبة مبعوث الخليفة أثناء عودته ربما أوهم بأنه رسول بيزنطي آخر[4].

أثارت سفارة ملك الروم لعبد الرحمان الناصر اتهامات أحد المؤرخين من أنها لم تكن من أجل توطيد العلاقات بين البلدين، بل إنما جاءت لعقد اتفاق حربي مشترك بين أموي الأندلس والروم بهدف محاصرة الفاطميين من الغرب والشرق وذاك ما بيّنه القاضي نعمان إذ قال": **كتب الناصر إلى طاغية الروم يسأله النصرة، وأهدى إليه الهدايا وأرسل إليه رسلا من قبله، فأجابه**

[1] المقري ، المصدر السابق ، ص 365.

[2] المقصود بالمترجم هنا هو نيقولا الذي أرسله الإمبراطور رغبة لطلب الناصر من أجل ترجمة ديسقوريدس .

[3] سليمان الرحيلي ، المرجع السابق، ص162.

[4] نفسه، ص162.

إلى ذلك"[1]. ربما هذا ما هدف إليه البيزنطيون التحالف مع الأمويين في الأندلس، إلا أن هذا لم يكن ليتمّ أو يتجاوز مبدأ الالتزام برباط الولاء للإسلام والتحالف مع أمة عريقة في نصرانيتها ضد بلدين مسلمين على رأس كلّ منهما أمير للمؤمنين[2].

شكلت السفارات المتبادلة بين الطرفين أثر كبير في تنشيط حركة الترجمة بالأندلس، فقد كان للسفارة البيزنطية الفضل في إدخال كتابين هامّين للأندلس وإثارة الهمم لترجمتهما.[3]

والسفارة الثانية متعلقة بالمواد التي جُلبت للأندلس من القسطنطينية لتستعمل في بناء مدينة الزهراء التي أنشأها الناصر، وللزيادات التي قام بها في مسجد قرطبة الجامع . وقد جلبها رسله إلى الأندلس الذين وجّههم إلى بلدان عدّة منها القسطنطينية، أو كانت هدية صاحبها والراجح أن مواد البناء المجلوبة إلى الأندلس من القسطنطينية شراء أو هدية من صاحبها، حيث كانت خلال حكم الإمبراطور قسطنطين السابع (300هـ-348هـ/912م-959م) الذي عاصر حكم خلافة الناصر (300هـ-350هـ/912م-961م) إلاّ قليلا[4].

ذكرت بعض المصادر المواد البنائية التي جلبها الناصر إلى الأندلس نذكر منها ابن عذارى الذي يقول:"**ولقد زاد الناصر زيادة المشهورة في مسجد قرطبة زيادة مشهورة متصلة بزيادة ابنه الحكم بعده**"[5]. وزيّن قبلة المسجد بالفسيفساء التي أهداها له صاحب القسطنطينية كما تذكر المصادر "**ولهذا الجامع قبلة يعجز الواصفون عن وصفها وفيها إتقان يبهر العقول بتنميقها، وفيها من الفسيفساء المذهّب والملوّن، ما بعث به صاحب القسطنطينية العظمى إلى عبد الرحمان لدين الله**"[6].

---

[1] القاضي نعمان، المصدر السابق، ص166. زينب نجم حسن منصور، مُحَمَّد عبد الله المعمور، **الهبات و الهدايا في عهد الخلافة في الأندلس (300-433هـ)/(913 -1009م)**، مجلة العلوم الإنسانية/كلية تربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، مج34، ع2، حزيران، 2018م ص9.

[2] عبد المجيد نعني، المرجع السابق، ص373.

[3] حسن الو راكلي،ياقوت الأندلس دراسات في التراث الأندلسي،(دط)، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1994م،ص19.

[4] عبد الرحمان علي الحجي، المصدر السابق، ص99.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق،ج2، ص212.

[6] الحميري، المصدر السابق، ص154.

وذكر المؤرخ أبو مروان ابن حيان " **أن مباني قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة، حاملة ومحمولة ونيف على ثلاث مائة سارية زائدة، وفسّر بعضهم هذا النيف بثلاث عشرة، منها ما جلب من مدينة روما، ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية...** "[1] و يذكر ابن عذارى كذلك " **وأهدى إليه ملك الروم مئة وأربعين سارية، وسائر ذلك من الأندلس. وأما الحوض الغريب المنقوش المذهّب بالتماثيل، فلا قيمة له جلبه ربيع الأسقف من القسطنطينية من مكان إلى مكان حتى وصل في البحر**"[2].

أما السفارة الثالثة كانت في عهد الحكم المستنصر(350هـ-366هـ/961م-976م) الذي افتتح خلافته بالنظر في زيادة في المسجد الجامع بقرطبة، وكان أول عمل قام به لما تولّى الحكم وكان ذلك في رمضان سنة 351هـ[3] وتنتهي هذه الزيارة سنة 355هـ[4]، فبعث إلى الدولة البيزنطية بغية الحصول على بعض أدوات البناء والزخرفة من هناك. وابتدأ إنزال الفسيفساء في زيارة الخليفة المستنصر سنة 354هـ." **وفيها شرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع، وكان ملك الروم بعث بها إلى الخليفة الحكم. وكان الحكم قد كتب له في ذلك وأمره بتوجيه ما نصّ عليه، اقتداءاً بما فعله الوليد ابن عبد الملك في بنيان مسجد دمشق. فرجع وفد الحكم بالصانع ومعه الفسيفساء ثلاث مائة وعشرون قنطارا بعثها ملك الروم هدية بأمر الحكم بإنزال الصانع والتوسيع عليه، ورتب معه جملة ممّن يملكه لتعلم الصناعة فوضعوا أيديهم معه في الفسيفساء المجلوبة وصاروا يعملون معه فأبدعوا عليه ، واستمروا بعد ذلك منفردين دون الصانع القادم راجعا عند الاستغناء عنه، بعد أن أجزل له المستنصر الصلة والكسوة وتداعى إلى هذه البنية كل صانع حاذق من أقطار الأرض**"[5].

---

[1] المقري، أزهار الرياض، ص268.

[2] ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص215.

[3] نفسه، ص218- 219 .

[4] نفسه، ص 223 .

[5] نفسه، ص237- 238.ابن الخطيب ، المصدر السابق ،ج2، ص43.

من خلال هذا النص لم نعرف من الإمبراطور البيزنطي الذي خاطبه الخليفة المستنصر بالله، ولا نعرف المدة التي استغرقتها سفارة الحكم في الوصول إلى القسطنطينية. وبعد ذلك وصلت الحكم المستنصر بالله رسالة من يوحنا تزيمسكس ابن الشمشيق على يد رسوله قسطنطين الملقي وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث مائة وواحد وستين 971م، ولعل ابن حيان هو المعتمد الوحيد في هذه السفارة التي يقول عنها:" **وفي يوم الأحد السبع الباقين من جمادى الأولى وصل إلى قرطبة قسطنطين الملقي ، رسول صاحب القسطنطينية المقدم إلى مملكة الروم، فسعى في قتله هذا الملك، الذي أنفذ رسوله هذا إلى الخليفة المستنصر بالله واسمه أبو السمسقين وليس من أهل بيوت مملكتهم بل كان هو الدمستق ل:يعفون(دقفور) قبله فانتهز مكانه ، فكرم الخليفة رسوله وأمر بإنزاله في مُنية البنتي وأجريت عليه الجراية الواسعة**"[1].

ولا يعرف الغرض الذي جاء من أجله السفير البيزنطي وما جلبت معها ولا فحوى هذه الرسالة التي حملتها، غير أنه من الممكن أن تكون رسالة ودية بين الخليفة والإمبراطور البيزنطي. وتستمر العلاقات الأموية من جديد أيام تغلب الحاجب المنصور مُحَمَّد ابن أبي العامر في دولة المؤيد بالله هشام ابن الحكم المستنصر بالله (366هـ-399هـ/976م-1003م)[2] كانت علاقاته ودية مع الدولة البيزنطية تبادلوا فيها الهدايا والرسل، وهي السياسة التقليدية التي سار عليها أمراء وخلفاء بني أمية من قبل[3]، فقد كان المنصور ابن أبي عامر في غاية الذكاء والشهامة فسمت به همّته وشجاعته، ويقول في ذلك ابن كردبوس:" **دانت له أقاصي بلاد الشرك، ودخلت له بالسلم تحت الملك إلى أن وفاه رسول صاحب القسطنطينية العظمى**"[4].

[1] ابن حيان، المصدر السابق، ص71-72.

[2] ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص268.

[3] أحمد المختار لعبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص246.

[4] أبو مروان عبد الملك التوزري ابن كردبوس ، تاريخ الأندلس لابن كردبوس ووصفه لابن شباط، تح : أحمد مختار لعبادي، (دط) ، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، ص63.

وكان صاحب القسطنطينية وأمير الدولة البيزنطية في ذلك الوقت بازيل الثاني (366هـ-416هـ/967م-1025م) ويعتبر عصره الطويل من أزهى عصور هذه الأسرة المقدونية الحاكمة [1]، ولكن لا يُعرف تاريخ هذه السفارة ولا الهدف منها.

ونجد سفارة أخرى أيّام الحاجب عبد الملك ابن منصور ابن أبي عامر[2] الذي تقلد الوزارة أو الحجابة بعد أبيه المنصور، ففي سنة ثلاث مائة وست وتسعين قدم أحد رسل الإمبراطور باسيل الثاني ويذكر هذا ابن بسام الشنتريني هذه السفارة " ...**وضحي عبد الملك بمدينة سالم .و وفاه هناك رسول الروم من القسطنطينية بكتابه إليه. يسأله المواصلة على سبيل سلفه مع ملوك المر وانية. وساق له هديته وعدة من أساري الأندلس طيّر عليهم بأطراف جزره البحرية، فسُرّ عبد الملك بذلك، وإذا كتابه مكتوب بالذهب على رسم ملوك الروم الذي فات الصنعة**"[3].

وما يلاحظ على هذه السفارة أن اللقاء تم في مدينة سالم خارج قرطبة لأول مرة، عندما كان حاجب عبد الملك عائدا من غزواته، فلم ينتظر عودة المظفر إليها فوفّاه إلى مدينة سالم، وهذا يدل على أن الخليفة هشام المؤيد لم يكن له أمر في شيء بل مجرد خليفة باسم ولا دخل له في حكم الدولة.

2-3- فرنسا:

توالت سفارات ملوك النصارى في توافد على الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله لخطب ودّه، فقدت وفدت رسل ملك فرنسا وهو يومئذ لويس الرابع لإبرام معاهدة سلام وصداقة، فأجابه لما طلبوا، وقد أشار ابن خلدون لهذه السفارة، يقول:" ...**ثم جاء رسول الملك... وآخر من ملك الفرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة**"[4] وهذه السفارة جاءت مع سفارة هوتوا ملك

---

[1] ابن كردبوس، المصدر السابق ، ص 63.

[2] أبو مروان عبد الملك ابن المنصور ابن مُحَمَّد ابن أبي عامر الملقب بالمظفر سيف الدولة، يوم الاثنين حانون من شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، فجّر الغزو والسياسة والنيابة عن هشام المؤيد على سن أبيه ودامت أيامه سبع سنين إلى أن مات وثارت الفتن بعده. انظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص80.

[3] أبو الحسن علي ابن بسام، الذخيرة السنية في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، قسم4، مج1، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1979م، ص86.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص183.مُحَمَّد عبد الله عنان،المرجع السابق،ص456.

ألمانيا وقد ذكرها ابن عذارى أنها كانت في سنة (342هـ/963م)[1]. فإذا كان هذا الاسم الذي أعطاه ابن خلدون يتفق مع التاريخ المذكور، عندها يكون قاراه(كلدة) هو شارل البسيط (الأبله) الذي توفي سنة (318هـ/929م) قبل تاريخ هذه السفارة. يأتي من هذا أنّ ابن خلدون اعتبر أنه ما يزال حاكما حتى تاريخ السفارة، لكن الحقيقة أن ملك إفرنجا في القسم الشرقي من الإمبراطورية في وقت هذه السفارة كان لويس الرابع ابن شارل البسيط[2].

2-3-ألمانيا:

من العلاقات المثيرة التي شهدتها قرطبة أثناء خلافة عبد الرحمان الناصر ذلك التبادل السياسي بينها وبين فرانكفورت عاصمة الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي كان يرأسها آنذاك "أوتو" الأول الملقب بالعظيم (324هـ-362هـ/936م-973م)[3]وقد وصلت إلى قرطبة سفارة سنة (242هـ/953م)[4]، وقد استعمل المؤرخون المسلمون عدة مصطلحات للألمان تصف "أوتو" بملك الصقالبة أو ملك اللمان[5] أو الألمان[6] وتتفق بتسمية "هوتوا"[7].

وفد إلى قرطبة سفير يوحنا الجورزيني نسبة إلى الدير الذي ينتمي إليه في جور زني على مقربة من متز[8]، ويدعى أيضا (جان جورزني) وكان يوحنا من أكابر العلماء والأقطاب والبحث والمناظرة. والظاهر أنه وقعت فعلا قبل ذلك مراسلات كلامية بين الخليفة الناصر وأوتو عن الإسلام والنصرانية، وأن الناصر قد عرض في بعض رسائله بالنصرانية وتعاليمها. لهذا قرر الإمبراطور أوتو إرسال سفارة للدفاع عن القضية النصرانية[9].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص214. ابن خلدون، المصدر السابق، ص183.

[2] عبد الرحمان علي الحجي، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية،ص184..

[3] مُحَمَّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص341.

[4] ابن عذارى، نفسه، ص218.

[5] نفسه، ص218.

[6] المقري، المصدر السابق،ص365.

[7] نفسه،ص365.ابن عذارى، نفسه، ص218.ابن خلدون،نفسه ، ص183.

[8] مُحَمَّد عبد الله عنان، المرجع السابق،ص456.

[9] نفسه، ص456.

إن الهدف الرئيسي لهذه السفارة لم يكن هدفا دينيا مهمته الدفاع عن النصرانية وإنما يعدّ هدفا ثانويا، أما الهدف الرئيسي لهذه السفارة فتمثّل في محاولة إيقاف الخطر الأندلسي خلف جبال البرنات أو البرانس[1]، هذا الخطر مثلّته آنذاك دويلة جبل القلال التي عرفت(فركسينا توم).

يذكر بعض المؤرخين أنه حوالي سنة (277هـ/890م) رست سفينة تحمل بعض البحارة الأندلسيين في جنوبي شرق فرنسا في منطقة البروفانس واستقروا في شمال مرسيليا في أحد المواقع الجبلية المنيعة، بدؤوا بفتح بعض المناطق ونظرا لنجاحاتهم فقد توارد عليهم المؤيدون من الأندلس وشمالي إفريقية وقد عرفت قاعدتهم في المصادر اللاتينية باسم فراكسنيتوم في حين تعرف في الرواية الإسلامية جبل القلال. استمرت هذه الدويلة حتى سنة(365هـ/975م)، شملت هده الدويلة مناطق جنوب فرنسا وشمال إيطاليا وسويسرا. قامت عدة محاولات لكبتها منها التبادل السفاري بين الأندلس والإمبراطورية الرومانية المقدسة أيام الإمبراطور أوتو الأول كان هدفها التوسط لدى قرطبة في معالجة الوضع[2].

قدم يوحنا إلى قرطبة عن طريق الرون وقطلونية برفقة راهب آخر ومعه طائفة نفيسة من الهدايا برسم الخليفة واستقبل بحفاوة وأنزل في إحدى الدور الرسمية، ولكن الناصر لم يبادر باستقباله حين وقف على موضوع رسالته[3]. ولما ألحّ يوحنا في طلب المقابلة والمحادثة، أجاب الناصر بأنه سبق أن أرسل رسولا أسقفا إلى أوتو واعتقله مدى ثلاثة أعوام وأنه سيعقله هده المرة أضعاف المرة السابقة، لأنه أرفع مقام من ملك النصرانية[4]. وبعد عدة شهور أرسل الخليفة يوحنا أسقف قرطبة للمناقشة مع السفير في عدة قضايا، وخلال مناقشة أعلم السفير قرار الخليفة الناصر أنه يرغب في عقد اللقاء إذا لم تقدّم الرسالة، فرفض السفير يوحنا الجورزيني مقابلة الناصر ما لم يسمح بتقديم رسالة الإمبراطور أوتو، حينئذ قرّر الخليفة عبد الرحمان الناصر أن يوصل سفيرا من قبله إلى

[1] إبراهيم محمّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص140.

[2] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص313.

[3] تشير بعض المراجع أن تلك الرسالة التي حملها الراهب احتوت على كلمات ازدرائية للإسلام والنبي صلّى الله عليه وسلم والخليفة الناصر لم يقبل أن تكون المسائل الدينية موضوع جدال بينهما، وقد نقل مضمون الرسالة إلى الخليفة بعد مقابلة الوفد ونصحه. انظر: أحمد مختار لعبادي، المرجع السابق، ص413. عبد الرحمان علي الحجي، نفسه، ص284.محمّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص457.

[4] نفسه، ص457. إبراهيم محمّد آل مصطفى، نفسه، ص142.

الإمبراطور أوتو لتستوثق ما إذا كانت الرسالة تعبر عن وجهة نظر أم أن الأسقف (يوحنا) اغتنم فرصة الإفضاء عن أرائه العدائية والمتطرفة[1].

واختار لهذه السفارة مستعربا يجيد اللغة العربية واللاتينية معا وهو رثموند المعروف في المصادر العربية ربيعا الأسقف[2] أو ريغا[3] الأسقف[4]. انطلق هذا السفير إلى ألمانيا عن طريق فرنسا، وعندما وصل إلى ألمانيا كان الإمبراطور مشغولا بإطفاء فتنة أثارها عليه ابنه وصهره، وقد استقبل سفير الخليفة بحفاوة وأجابه إلى كل ما اقترحه الخليفة الناصر لدين الله وعاد ربيع الأسقف إلى قرطبة بعد سنتين من سفره (347هـ/957م) فارتاح الناصر لنتائج سفارته[5]، وبعد عودة سفير الخليفة أذن للسفير (الراهب يوحنا) بمقابلة الخليفة، وقد استقبل بقصر قرطبة في الجناح الشرقي المخصص للسفراء والمسمى المجلس المؤنس، فكان الاحتفال ضخم ظهرت فيه روعة البلاط الأموي[6].

لا نعلم شيئا عن نتائج هذه السفارة لأن المؤرخين المسلمين لم يتحدّثوا عن موضوعها وأغفل المؤرخون النصارى نتائجها، لكن الراجح أن وجهة النظر التي أبدتها حكومة قرطبة لسفير الإمبراطور أوتو فيما يتعلق بأمر من المستعمرات الإسلامية وغزوات المسلمين لفرنسا وشمالي إيطاليا وسويسرا أن ليس له علاقة بتلك المستعمرات[7]، وإنها لا تتحمل تتبعه أعمالها ولا تستطيع التدخل التدخل في شأنها أو تتبدل نصحا لأولئك المغامرين الخارجين عن طاعتها[8].

---

[1] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص285. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص342.

[2] المقري، المصدر السابق، ص465.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص183.

[4] محمد سهيل طقوش، نفسه، ص342. إبراهيم محمد آل مصطفى، المرجع السابق، ص143.

[5] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص457. شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط،(دط)، دار الكتب العلمية، بيروت،(دت)، ص181.

[6] إبراهيم محمد آل مصطفى، نفسه، ص144.

[7] محمد عبد الله عنان، نفسه، ص458. محمد سهيل طقوش، نفسه، ص342.

[8] محمد عبد الله عنان، نفسه، ص458.

2-4- إسبانيا في الشمال:

كانت الممالك المسيحية في شمال إسبانيا أكثر الوفود إلى قرطبة تغدو وتروح بعضها يرأسها الملوك أنفسهم، تطلب الصلح والمساعدة وتعقد المعاهدات وتوطّد الصلات السياسية بينها وبين قرطبة[1].

وكان دافع ممالك إسبانيا النصرانية تدخّل النبلاء في شؤون الحكم، واحتدام الصراع الداخلي بينهما بسبب النزاع على مناطق الحدود أو الطمع في ضمّ إمارة لأخرى بالقوة أو انفصال إمارة عن أخرى، وتوقّف مساعدة أباطرة فرنجة لنصارى الشمال الأندلسي بسبب التقارب الذي حصل بينهم وبين عبد الرحمان الناصر لدين الله[2]. وتدخل هاته الممالك حلقة الموادعة عندما تكون عاجزة على القيام بأي فعل عسكري ضدّ الدولة الأموية في الأندلس، وتنهي من جانب واحد كل عهد أو اتفاق إذا ما وجدت الفرصة السانحة لاختراق سيادة الدولة الأموية[3]، فالعلاقات بينها وبين أموي الأندلس لم تحتل غير الجانب السطحي في إطار ما نسميه حاليا بالعلاقات الدولية، لأن الجانب الأهم كانت تشهده ساحات القتال في معارك إثبات الوجود[4].

وفي مقدمة الممالك الإسبانية الشمالية نجد مملكة ليون[5] التي تبادلت الزيارات والسفارات مع الدولة الأموية في الأندلس، ففي سنة (323هـ/934م) طلب ملك ليون راميرو الثاني (320هـ-399هـ/932م-950م) الصلح مع الخليفة عبد الرحمان الناصر وتردّدت رسله على الخليفة في العاصمة قرطبة، كان هذا على إثر الغزوة المخرّبة التي قام بها المسلمون في أراضيه، لهذا بعث رسله للتماس الصلح، فبعث إليه الناصر وزيره يحي ابن يحي ابن إسحاق سفيرا، فاجتمع مع راميرو في ليون وعقد معه شروط الصلح ووقّع الناصر على هذه المعاهدة في منتصف ربيع الثاني من هده السنة في يوم مشهود. وكان الناصر يرمي بعقد الصلح هذا إلى إبعاد ملك ليون عن التفاهم مع

---

[1] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص370. رجب محمّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص176-177.

[2] محمّد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص327.

[3] خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص177-178.

[4] إبراهيم بيضون، الدولة العربية في اسبانيا، ط4، دار النهضة العربية،بيروت ،1976م ،ص298.

[5] تقع في الشمال الغربي بين المحيط ونهر دويرة، عند نقل العاصمة من أوبيط إلى ليون، أطلق عليها مملكة ليون بدلا من مملكة مملكة غاليسيا واستر ياس. انظر: محمّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص391. عبد الرحمان علي لحجي، التاريخ الأندلسي، ص271.

مُحَمَّد ابن هشام صاحب التجيبي سرقسطة ومعاونته، فيبدوا أن هذا الصلح لم يدم طويلا لما كان يجيش به راميرو من رغبة ملحة في النكث والتفاهم مع الخارجيين عن حكومة قرطبة[1].

وبعد معركة الخندق رغب راميرو بالسلم مع الناصر الذي استجاب له، ونجد النص نفسه عند ابن خلدون إذ يقول:" **ثم غزا سنة سبع وعشرين وثلاثمائة غزوة الخندق إلى جليقية فانهزم، وأجيب فيها المسلمون وأسر فيها مُحَمَّد ابن هاشم التجيبي وحاول الناصر إطلاقه، فأطلق سراحه بعد سنتين وثلاثة أشهر**"[2]. ابن حيان يذكر أنه في سنة (329هـ/940م) تمّ عقد الصلح بين الملك راميرو الثاني في مملكة ليون مع الناصر، قام راميرو الثاني بإهداء الناصر المصحف الذي ضاع منه في معركة الخندق في أراضيه مع جملة هدايا أخرى كان من بينها ثلاثون أسيرا من أسرى المسلمين فكافأ الناصر راميرو على ذلك[3]. يبدوا أن السلم عقد في سنة 329هـ وكان من نتائج هذه المعاهدة إطلاق سراح مُحَمَّد ابن هشام التجيبي الذي عاد إلى قرطبة بعد سنتين من أسره.

توفي الملك راميرو الثاني سنة (339هـ/950م) قامت حرب أهلية بين ولديه: أردون وشانجه المعروف بالسمين الذي اعتمد على عون أخواله البشاكسة وجدته الملكة "طوطة" وصية عرش نباره وملك قشتالة، فانهزم شانجه واعتلى العرش أردونيو الثالث (339هـ-345هـ/950م-956م)[4] ، بعث أردونيو الثالث سنة (344هـ /955م) إلى عبد الرحمان الناصر سفيرا يخطب ودّه فأجابه على طلبه[5]، ثم بعث في سنة (345هـ/956م) أحد الوجهاء من أعضاء المجلس الملكي مُحَمَّد ابن حسين وحسداي ابن شبروط[6]، فعادا إلى قرطبة بكتاب من الملك أردونيو الثالث يتضمن شروط الصلح وكان من أهم بنودها[7]:

---

[1] مُحَمَّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص405.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص180.

[3] زينب حسن نجم منصور، مُحَمَّد عبد الله المعمور، المرجع السابق، ص9.

[4] عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق،ص274.

[5] ابن خلدون، نفسه، 183-184.

[6] ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711هـ-1031م)، تر: عبد الرؤوف البمبي البمبي ، ط2، (دد)، (دت)، ص357.

[7] ابن عذارى، المصدر السابق، ص221.

*أن يسلم الملك أردونيو مجموعة كبيرة من الحصون القوية على الحدود إلى المسلمين وأن يهدم البعض الآخر[1].

* طلب الملك من الخليفة الناصر لدين الله إدخال فردلند ابن عبد شلب قوس قشتالة فردلند هذا الصلح[2].

توفي أردونيو الثالث في ربيع سنة (346هـ/957م) في سمورة فرفض أخوه شانجه الذي تولى الحكم بعده، تنفيذ بنود المعاهدة التي كان عقدها أخوه مع الناصر، فاضطر الناصر إلى إعلان الحرب ضده وتوجيه حملة كان جهزها لغزو إفريقية وسير قائده يعلى حاكم طليطلة إلى ليون، فهزم النصارى وعقد الصلح بين الفريقين مرة أخرى واستقرت بينهما علائق السلم مدى حين[3]. ويضاف إلى هذا الفشل الذريع الذي مني به سانشو الأول إلى الاحتقار الذي عبّر عنه أهالي ليون اتجاه ملكهم الجديد الذي أصيب بالسمنة المفرطة التي منعته من ركوب الخيل ممّا أدّى برجال الجيش لتدبير مؤامرة ضدّه أفلحت في خلعه في عام (374هـ/958م)، فوفد شانجه إلى جدته طوطة في نبرة وخلفه ابن عمه أردونيو الرابع ابن الفونسو الرابع الملقب بالشرير أو السيئ[4]. حينها فكرت فكرت الجدة طوطة أن تبحث في قرطبة عن الحليف المنشود فأرسلت إلى الخليفة الناصر لدين الله أن يرسل لها أحد الأطباء لعلاج حفيدها وأن يمدها بجيش لإرجاعه إلى عرشه[5].

ولما أفضى السفراء إلى الخليفة الناصر لدين الله بما جاءوا إليه أجابهم بأنه سعيد إذ يرسل شانجه طبيبا ماهرا، وأنه مستعد لمعاونته بالرجال حتى يسترد عرشه المسلوب منه، ولكن على شروط خاصة سيحملها أحد وزرائه إلى بنبلونة[6]. وعاد المبعوثون النفاريون وأرسل عبد الرحمان الناصر لدين الله في طلب اليهود حسداي ابن شبروط ليذهب إلى بنبلونة من أجل التفاوض حيث

---

[1] ليفي بروفنسال،المرجع السابق ، ص357.محمّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص423.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص184.

[3] رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، تح وتر وتع: حسن حبشي، ج2، (دط)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1994م، 1994م، ص47. ابن عذارى، نفسه، ص231.محمّد عبد الله عنان، نفسه،ص423.

[4] ليفي بروفنسال، نفسه، ص358. رينهرت دوزي، نفسه،ص51.

[5] نفسه، ص51.

[6] نفسه، ص52.

كان يتمتع بصفات تؤهله لمثل هذه المهمة، فقد كان في الوقت نفسه طبيبا عظيما وسياسيا محنكا فبإمكانه معالجة الملك المخلوع من داء السمنة[1]، استطاع حسداي ابن شبروط أن يقوم بمهمته التي حققت نجاحا في كل نقاطها. فقد حصل منه على تعهد بأنه بمجرد أن يسترد عرشه مرة أخرى سوف يعيد للمسلمين عشرة حصون قوية و تمكن من إقناع الوصية على العرش "طوطة" بزيارة قرطبة يصاحبها فيها ابنها غرسيه وحفيدها. وقد كانت هاته شروط الخليفة الناصر[2]، وفعلا فقد حضرت الملكة طوطة مع حفيدها شانجه إلى قرطبة سنة (347هـ/959م) ومعها ابنها غرسيه ابن شانجة الأول ملك نبرة، ووراءها جمع غفير من الأشراف والقس، احتفل الناصر بقدومهم واستقبلهم بمدينة الزهراء[3]، وعقدت بينهما معاهد السلام وتم فيها الاتفاق التالي:

*أن يسلم شانجة الأول القلاع العشرة التي أرادها الخليفة الناصر.

*أن يهاجم الجيش الإسلامي مدينة ليون في الوقت الذي يهاجم فيه النفاريون قشتالة استدراجا لقوات فرناند كونثالث للخروج من هذه الناحية[4]، وفعلا تمكن الناصر لدين الله من إعادة ملك ليون سانشو إلى عرشه فبعث إلى الناصر سفارة شاكرا يده ومعاونته إيّاه، والحكم تحت سانشو الأول[5]. إنّ عقد السلم والصلح وتبادل الزيارات والسفارات لم يقتصر على مملكة ليون وإنما شمل أيضا إمارة قطلونية، ففي سنة (328هـ/939م) وصل وفد حاكم قطلونية في طلب السلم مع الناصر حاملا معه الهدايا الثمينة من التحف النادرة إلى الناصر فقبلها الأخير وأكرم الوفد وكافأه بهدايا أثمن من هداياهم[6]، كما عقد الخليفة الناصر لدين الله السلم مع صاحب برشلونة الإفرنجي شنير ابن منفريد الذي بعث إليه كاتبه حسداي ابن إسحاق الاشبيلي، لينظّم معه عقد السلم وفقا للشروط التي ارتضاها الناصر، وخلاصتها أن يتخلّى شنير عن إمداد جميع النصارى الذين ليسوا في سلم الناصر، وأن يلتزم طاعته، وأن يحل المصاهرة بينه وبين غرسيه ابن شانجه

[1] رينهرت دوزي، المرجع السابق، ص52-53.

[2] ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص359.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص184. رينهرت دوزي، نفسه، ص54.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص184. رينهرت دوزي، نفسه، ص54.

[5] نفسه، ص55. عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص377.

[6] زينب حسن نجم منصور، مُحَمَّد عبد الله المعمور، المرجع السابق، ص8.

صاحب بنبلونة (نبرة) وكان شنير قد زوجه ابنته فألغى زواجهما وفقا لرغبة الناصر، وأصدر الناصر أوامره إلى قادة الأسطول وعمال السواحل[1] .

توفي الناصر عام (350هـ/961م) وتولى الحكم بعده ابنه الحكم المستنصر بالله (350هـ-366هـ/961م-976م) وبدأ عهد ألمع شخصية في التاريخ، فقدّ رد اعتداءات النصارى في الشمال والتي سعت إلى ودّه وعقد السلم والصلح معه، تابع الحكم سياسة أبيه اتجاه نصارى الشمال فعمل على الوقوف أمام سياستهم التوسعية[2]. واستعمل الأساليب السياسية والسيف معا من واقع التقلبات السياسية السريعة لملوكها وأمرائها. كانت هذه العلاقات تتخذ منذ أواخر عهد عبد الرحمان الناصر طابعا وديا وبخاصة مع الملك الليوني شانجه وانقلبت إلى عدائية[3]، لما طلب شانجه بالوفاء وتسليم القلاع المتّفق عليها أخذ يماطل و يتحايل لتأجيل الوفاء بهذا الوعد [4]، لما أفرج غرسيه ملك بنبلونة (نبرة) عن فرناند قومس قشتالة، انظم إلى أردون الرابع ببرغش، وأخذ يغيران على الأراضي الإسلامية وأعدّ الحكم المستنصر بالله حملة كبرى للقضاء على أردون وكونت قشتالة، فخاف أردون على مصيره والتمس من الحكم أن يساعده على إعادته إلى عرشه الذي اغتصبه شانجه[5]، فتوجه إلى قرطبة في آخر صفر سنة (351هـ/962م) وحصل منه على وعد بمساعدته لاسترداد عرشه مقابل:

*المحافظة على السلام بين قرطبة وليون.

*ألّا يتحالف مع حاكم قشتالة الذي يُغير على الأراضي الإسلامية.

*يقدم ابنه غرسيه كرهينة للدلالة على حسن وفائه[6].

---

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص422.

[2] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (دط)، مؤسس حباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص296.

[3] محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص354.

[4] رينهرت دوزي، المرجع السابق، ص61.

[5] رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص228.

[6] المقري، المصدر السابق، ج1، ص384، ص388. ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 186. محمد سهيل طقوش،نفسه،ص354.

وقدّم إليه الحاجب جعفر الهدايا التي أمر بها الخليفة له ولأصحابه[1]. فلمّا علم شانجه ما وعد به الخليفة خصمه ومنافسه خاف على ملكه، وبادر بإرسال سفارة إلى الحكم المستنصر بالله في ربيع الآخر351هـ أعضائها من أهل جليقية وسمورة، يعرض عليه أن يعترف بطاعته وأن يقوم بتنفيذ ما تعهّد به للناصر من تسليم بعض الحصون الواقعة على ثغور المسلمين وهدم البعض الآخر[2]. لكن حدث أن توفي أردونيو بطريقة غامضة في أواخر عام (351هـ/962م) وعاد شانجه مرّة أخرى إلى نقض عهوده، وهذا أدى إلى:

*تحرير الحكم المستنصر من التزاماته بدعم أردونيو ضدّ شانجه[3].

*تبديد مخاوف شانجه وإراحته واطمئنانه على عرشه، فقد مات منافسه وقرر شانجه الاستعانة بحلفائه القدامى من أخواله ملوك نبرة، ومن يليهم من كونتات قطلونية بوريل وميرون وكذلك كونت قشتالة العدو اللدود للخلافة، وأعلن مرة أخرى عدم التزامه بالاتفاقية[4]. فاضطر الحكم لقتالهم وخروجهم لغزوهم بفضل قوة جيوشه ومهارة قوّاده، انتصر عليهم وأنهى الحرب باستلام الحصون التي كانت موضع الخلاف[5]، بدا تقاطر الوفود والسفارات من سنة (355هـ/966م) واستمر عدة أعوام[6]، فكانت أول سفارة أرسلت إلى قرطبة كانت من جليقية وأشتوريس، تطلب من الخليفة الحكم المساعدة لصدّ خطر النورمان الواقع عليها[7]. وفي السادس من ذي الحجة سنة(360هـ / 971م) وفد سفير من قبل الراهبة ألبيرا عمة ملك ليون راميرو الثالث والوصية عليه ويسميها ابن حيان حُلويزة[8] والسفارة الثانية كانت في (362هـ/973م) من

---

[1] المقري، المصدر السابق،ج1،ص393.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص186-187. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص235. مُحَمَّد سهيل طقوش، نفسه، ص355.

[3] نفسه، 355. مُحَمَّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص486.

[4] رجب مُحَمَّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص229.

[5] سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،2001م ، ص37.

[6] مُحَمَّد عبد الله عنان، نفسه، ص489.

[7] مُحَمَّد سهيل طقوش، نفسه، ص356.

[8] ابن حيان، المصدر السابق، ص63.

اجل عقد السلم مع الخليفة، والثالثة كانت في صفر(363هـ/973م)، تكلم رسل حلويرة عن مراسلتهم بكلام بدا فيه بعض الجفاء أنكره الخليفة المستنصر بالله ممّا أغضبه فاكتفى الحكم بإفهامهم بأنهم سفراء ولولا هذا لعاقبوا. إن ما قام به الخليفة من تصرف مع رسل حلويزة هو تعبير عن المستوى العالي الذي وصلت إليه قرطبة، وأن لهذه الوفود حصانات وحقوق يجب مراعاتها[1].

كما نجد رسالة أخرى أرسلها أحد حكام إسبانيا الشمالية إلى قرطبة، فأكرمها الحكم غاية الإكرام وذلك سنة (365هـ/671م) كما يذكر ابن خلدون:" **وفي سنة خمس وستين وثلاث مائة وردت أم لذريق ابن بلاكش القومس بالقرب من جليقية وهو قومس الأكبر فأخرج الحكم لتلقيها واحتفل لقدومها في يوم مشهود، فوصلها وأسعفها وعقد السلام لابنها كما رغبت وأحبت ودفع مالا تقسمه بين وفدها وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحقة ديباج. ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلات لسفرها**[2].

ومن الممالك النصرانية في شمال إسبانيا التي جاءت تطلب الصلح والسلام مملكة نبارة، فقد وفدت رسل غرسيه ابن شانجه ملك البشكنس في جماعة من الأساقفة والقواميس يسالون الصلح ويجدّدون معاهدة السلام[3]، وظلّ غرسيه على ولائه للمستنصر حتى مات وخلفه ابنه شانجه شانجه غرسيه الثاني على عرش نبرة (359هـ-384هـ/969م-994م) الذي ظل محافظا على عهد أبيه مع الخلافة حتى مات المستنصر، ففي 22ذي الحجة 362هـ عقد الخليفة الحكم المستنصر بالله مجلسا كالعادة لاستقبال هؤلاء الرسل، فكان أول الوفود هو وفد شانجه ابن غرسيه الثاني صاحب نبارة (بنبلونة)[4]، وفي سنة (363هـ/973م) أرسل الكونت قشتالة غرسيه فرناندز سفارة إلى قرطبة، فلم تكد هذه السفارة تنتهي من مهمتها في العاصمة وتخرج منها حتى وصلت أنباء تقول بأن هذا الحاكم القشتالي شنّ هجوما مفاجئا على المعاقل الإسلامية منذ ثلاثة أسابيع، فعندما وصلت هذه

[1] ابن حيان، المصدر السابق ،ص146. إبراهيم محمّد آل مصطفي، المرجع السابق، ص151.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص187.

[3] نفسه،ص187.

[4] ابن حيان، نفسه، ص138. رجب محمّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص246.

الأنباء إلى قرطبة أمر الخليفة المستنصر بالقبض فورا على سفارة غرسيه فرناندز وهي في طريق العودة إلى قشتالة والرجوع بها إلى قرطبة وإيداعها السجن[1].

ومن إمارة برشلونة وفدت سفارات إلى بلاط الخليفة الحكم المستنصر بالله، ففي نهاية شعبان(360هـ/971م) وفدت سفارة من أمير برشلونة الكونت بريل ابن شونير على رأسها القومس بون فلي ابن سندريط سفيرا لتجديد المودة والصداقة، وكانت هدية بريل : ثلاثين أسيرا من المسلمين من رجل وامرأة وطفل، وعشرون من الخصيان الصقالبة، وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير من القصدير وعشر أدراع صقلبية، ومائتا سيف إفرنجية، فقبل هديتهم وعقد لهم أن يهدم الحصون التي بقرب الثغور وعلى أن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن ينذروه بما يكون من النصارى في الانقلاب على المسلمين[2]. كان هدف هذه السفارة هو عقد معاهدة السلم وصداقة بين إمارة برشلونة وقرطبة وقد استجاب الخليفة الحكم لهذا الطلب[3]. وبوفاة الحكم المستنصر عام (366هـ/976م) استبدّ المنصور ابن أبي عامر بالسلطة وحجر على الخليفة هشام المؤيد ، قضى على كل معارضيه وصار هو الحاكم بأمره، ودخل مع النصارى الشمال في صراع رهيب[4]، فبعد موت المستنصر نقضوا معاهدات الصلح التي كانوا قد أبرموها مع الحكم[5]. خاض حروبا وغزوات ضد النصارى في الشمال، فالمقري يذكر أنه :" **غزا ستاو خمسين غزوة في سائر ملكه لم تنكس له فيها راية**"[6]. وأجبرهم فيها على إعادة طلب الصلح والسلم وتتودّد إليه بهدايا وألطاف وغرائب وتحف من أجل خطب ودّه، وجعلهم مجرد حكام تابعين لسلطانه، كان عهده كله حروب وغزوات مستمرة مع أسبانيا النصرانية ولم يقع بينهما تهادن أو سلم طويل الأمد، ولم تفد إليه سفارات من النصارى على نحو ما حدث أيام الخليفة الناصر والحكم المستنصر[7].

---

[1] لفي بروفنسال، المرجع السابق ،ص437-438.

[2] ابن حيان، المصدر السابق، ص20،22.ا بن خلدون، المصدر السابق، ص187.المقري، المصدر السابق، ص384-385.

[3] ابن حيان، نفسه، ص20.

[4] رجب محمّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص230.

[5] نفسه،ص259.

[6] المقري، نفسه، ص398.

[7] محمّد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص583.

وعلى إثر غزوة شنت ياقب اضطر برمود ملك ليون بعد الذي أصاب بلاده من الهزائم والمحن أن يسعى لطلب الصلح، فبعث بولده بلايو صحبة المعن ابن عبد العزيز حاكم سمورة المسلم إلى قرطبة، طالبا عقد الصلح فأجابه المنصور لما طلب وانصرف راجعا إلى أبيه[1]. ظلت نصرته وغزواته على النصارى متوالية في كل صائفة حتى أذعن ملوك الروم ورغبوا في مصاهرته[2]، وفد إليه سانشو غرسيه ملك نفارة معتذرا إليه لائذا بعفوه ومهادنته والوجه الشائق في ذلك هو أن سانشو غرسيه كان صهرا للمنصور، فاكتسابا لمودته قدّم ابنته عروسا إليه (371هـ/981م) فتزوجها المنصور واعتنقت الإسلام[3].توفي المنصور وقام بالأمر من بعده ابنه عبد الملك المظفر الذي سار على سياسة أبيه في تخريب وغزو ممالك إسبانيا في الشمال، وبلغت الأندلس في أيامه نهاية الكمال وكان أهلها أسعد مولود أجبر نصارى الشمال على المحافظة على عهودهم وطلب السلم[4]، ففي سنة (393هـ/1002م) وعلى إثر غزوته لأراضي برشلونة وتخريبها،" **جاء رسولها إلى قرطبة وقد أعدّ عبد الملك لوروده أكمل العدة من ترتيب الجنود، فكان يوم دخول الرسول بقرطبة آخر أيام الزينة. إذ انتقض الملك على إثره سريعا ووقعت الفتنة**"[5].

نستنتج مما سبق أن السفارات بالأندلس في عصر الخلافة بلغت أوجّ قوّتها وسلطانها وتبوّأت مركز الصدارة في العالم الإسلامي، فأصبحت تعجّ بالسفراء سواء من العالم الإسلامي أو المسيحي، وكانت هاته السفارات إما لعقد الحلف أو الصداقة أو الهدنة، وكان النصارى أكثر الوفود إلى قرطبة، بعد ذالك تغيرت موازين القوي بين أموي الأندلس ونصارى الشمال وأصبحت تفد السفارات والرسل من حاضرة المسلمين إلى البلاط النصراني للاستعانة ببعضهم البعض مثلما كان ملوك النصارى من قبل لحل مشاكلهم.

---

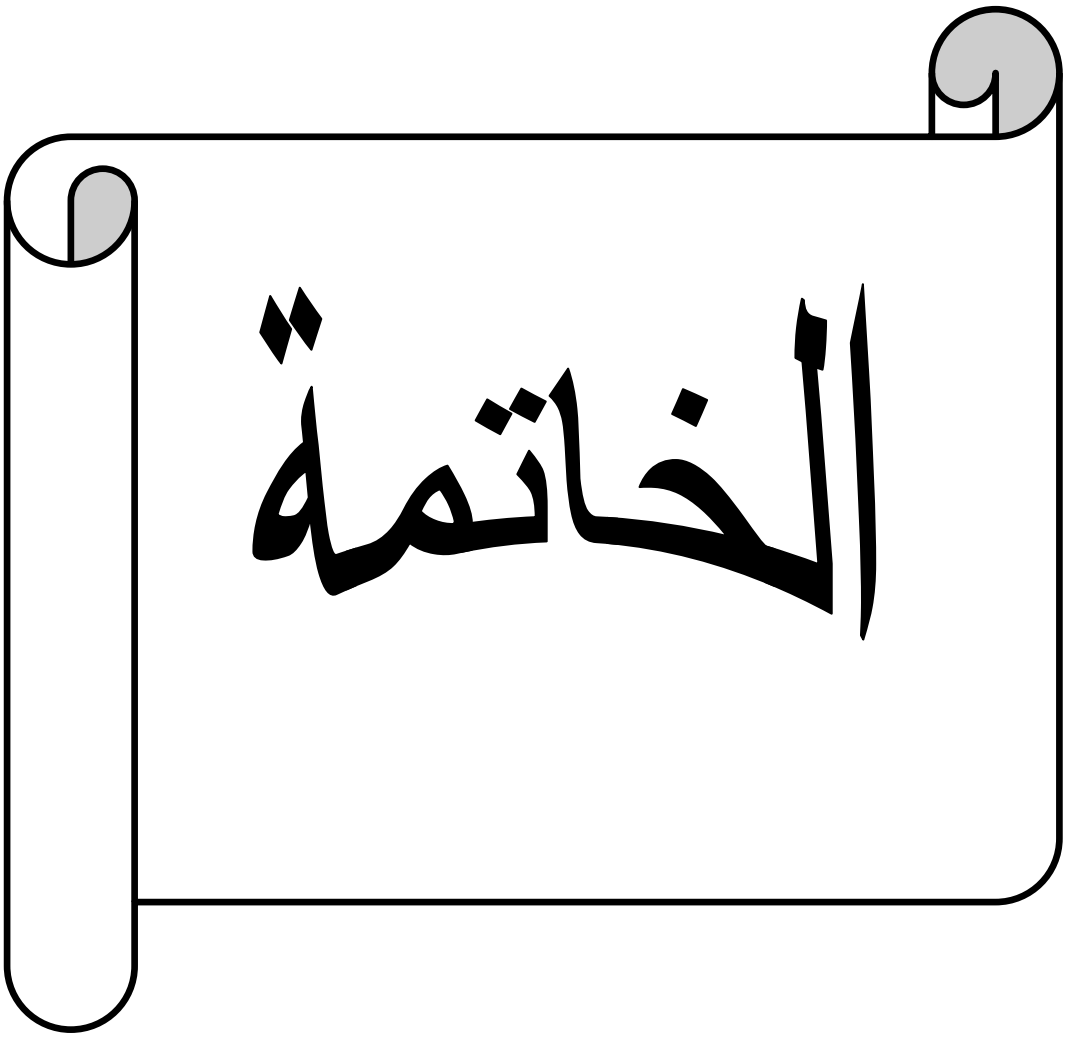
[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص561.

[2] ابن الآبار، المصدر السابق، ج1، ص269.

[3] محمد عبد الله عنان ، نفسه، ص583.

[4] ابن الأبار، نفسه،ص269-270. محمد رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص263.

[5] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ص85.


الخاتمة

بعد إنهاء بحثنا توصّلنا إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

- أنّ المسلمون اهتمّوا باختيار الرّسل والسّفراء وفق شروط ومواصفات متمثلة في الصّفات الجسمانية والخلقية والثقافية، وقد كان الرسول ﷺ القدوة الحسنة في اختيار سفرائه، فيختارهم من بين الصحابة الكرام الذي شهد لهم بالمكانة والذكاء، والسفير صورة عن مرسله وممثّل عن الإسلام قبل كل شيء وصاحب دعوة مأمور بتبليغها.
- رغم ما تميّزت به العلاقات بين الأمويين في الأندلس ودويلات المغرب الإسلامي من عداء وتوتّر، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من وجود علاقات وديّة نظراً للمصالح السياسية المشتركة في عداء بني العباس، وقد تجسّدت هذه العلاقات في شكل مراسلات ومكاتبات التي كانت تردّ إلى قرطبة مزوّدة بالهدايا لتجديد الطّاعة والولاء، كما كانت تحمل تقارير عن أمور المشرق الإسلامي. أمّا مع الدولة الفاطمية سواء في المغرب أو بعد انتقالها إلى مصر، فقد ظلّ بينهما صراع وتوتّر سياسي وعسكري رغم المراسلات والمكاتبات التي تمّت بينهما من أجل الصلح.
- إنّ علاقات الدولة الأموية في الأندلس مع العالم المسيحي قد تراوحت بين الحرب والسلم، تبادلت من خلالها السفارات والبعثات سواء في عصر الإمارة أو الخلافة. وكان دافع هذه السفارات المتبادلة إمّا:
  - التماس الصداقة.
  - عقد معاهدات الصلح والتحالف.
  - طلب المساعدة والمعونة في حلّ بعض المشاكل.
- إن أموي الأندلس احترموا جميع العهود والمعاهدات التي عقدت بينهم وبين الممالك النصرانية، لكن مثل هذه الاتفاقيات لم يكن لها المفعول التنفيذي سرعان ما تسقط جميع الاتفاقيات وتفرغ من مضامينها، إلاّ أنّ الدولة الأموية بالأندلس كانت تستمر في عقد معاهدات جديدة مع تلك وهذا يدلّ على عظمة وتسامح أمويي الأندلس مع من لا عهد له.
- كان السفراء الوافدون على قرطبة يلقون حُسن الترحيب والحفاوة والاهتمام من خلال مراسيم استقبالهم، التي تبدأ عندما يصلون إلى الأندلس، وعندما تنتهي مهمّة السفير يودّع

بمثل ما استقبل من حفاوة وترحيب وإغراقه بالهدايا الثمينة، وهذا يدلّ على مكانة الدولة الأموية وقوّتها لتُبهرهم وتوقع الرهبة في نفوسهم.

- اهتمت الدولة الأموية بحسن اختيار سفرائها، فكانوا من الرجال الأكفّاء علما وذكاء وحذقا، فالسفير يحي الغزال كان حكيم الأندلس وشاعرها، يتمتّع بسرعة البديهة وحدّة الخاطرة، كما نجد حسداي ابن شبروط الذي كان في الوقت نفسه طبيبا وسياسيا محنّكا.
- بعض السفارات التي وفدت إلى البلاط الأموي يرأسها الحاكم الفعلي للبلد أو زعيم قبيلة أو عضو حاشية الحاكم.
- لم نجد في سفارات الدولة الأموية أن اتّخذت امرأة سفيرة إلى الدول التي تبادلت معها السفارات.
- لم يقم أي أمير أو خليفة أموي بزيارة هاته الدول التي تعامل معها.
- بعض السفارات الوافدة إلى قرطبة أو الصادرة عنها كانت في بعض الأحيان سفارات حملت في طيّاتها عبارات التقدير والاحترام والمجاملة خاصة مع الدولة البيزنطية.
- كان لهذه السفارات المتبادلة سواء في عصر الإمارة أو عصر الخلافة دورا في:
  - تنشيط حركة الترجمة بالأندلس، فالسفارة البيزنطية حملت في طياتها كتابين هامّين عمل أمويو الأندلس على ترجمتهما.
  - ترتّب عن تقرير الذي قدّمه يحي الغزال أثناء سفارته إلى النورمان إنشاء البحرية الأندلسية في بحر الشمال، فقد درس مواقع تلك البلاد وما يحيط بها.
  - فضلا عن وجود مصاهرات بين الأمويين في الأندلس والنصارى.

وبالتّالي فقد نجحت السفارات في تأسيس دبلوماسية قويّة للدولة الأموية في الأندلس استطاعت من خلالها أن تكون رائدة في العلاقات الدولية بمفهومها الحالي.

وختاما نأمل أن يكون هذا البحث العلمي الذي حاولنا من خلاله الالتزام بالموضوعية والأمانة العلمية، إضافة جديدة لباقي الأبحاث الأكاديمية التي اهتمّت بهذا الموضوع ونسأل الله العون والتوفيق والسّداد.

الملاحق

الملحق رقم1: خريطة عامة للدولة الأموية للأندلس.



المرجع: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2001م، ص76.

الملحق رقم2: أمراء الدولة الأموية وخلفاؤها في الأندلس

(138-422هـ/756-1028م) .

- الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل (138-172هـ/756-788م)
- هشام بن عبد الرحمن (172-180هـ/788-796م)
- الحكم بن هشام (180-206هـ/766-822م)
- عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/822-857م)
- مُحَمَّد بن عبد الرحمن (238-273هـ/857-886م)
- المنذر بن مُحَمَّد (273-275هـ/886-888م)
- عبد الله بن مُحَمَّد (175-300هـ/888-912م)
- الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)
- الحكم الثاني (350-366هـ/961-976م)
-هشام الثاني (366-399هـ/976-1009م)
-مُحَمَّد الثاني (399-400هـ/1009-1010م)
- سليمان المستعين (400هـ1010م)
- مُحَمَّد الثاني(مرة الثانية) (400هـ/1010م)
- هشام الثاني(مرة الثانية) (400-403هـ/1010-1013م)
- بنو حمود (407-413هـ/1016-1018م)
- عبد الرحمن الخامس (414هـ/1023م)
- مُحَمَّد الثالث المستكفي (415-416هـ/1024-1025)
- هشام الثالث المعتد بالله (418-422هـ/1025-1028م).

المرجع: سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص268.

الملحق رقم3: كتاب صلى الله عليه وسلّم إلى هرقل عظيم الروم.



المرجع: مُحَمَّد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط5، دار النفائس، بيروت، 1975م، ص108.

الملحق رقم4: كتاب الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى كسرى.



المرجع: حميد الله، المرجع السابق، ص141.

الملحق رقم5:

جواب الأمير عبد الرحمان الثاني إلي الإمبراطور تيوفلس ردا على رسالته السابقة.

"بسم الله الرحمان الرحيم أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر الذي كان ع من ليه مضامنكم لاولنا من المودة والصداقة وانه قد داعك ذلك إلي *مكاتبتك* وإرسال قرطيوس رسولك إلينا لتجديد تلك المودة وترتيب تلك المصادق، وتسال عن ينعقد بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ونتواصل له ونبعث رسلا من عندنا إليك ليعلموك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ودعوت إليه ، لتثبت بقدومهم عليك مودتنا وتتم به صداقتنا .

وفهمنا ماذكرته من أمر الخليفة مروان ﷺ وصلي عليه و واشج قرابتنا منه وواسيت لما استلب من سلطانه واستبيح من حرمه واستحل من دمه ومكان من الفاجر أبي جعفر تربه الله وجرأته علي الله واغتراره به وانتهاكه لمحارمه ،والله قد أحصى عليه ذلك فأسفه منه ،فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه .

ثم الذي ذكرته من فعل خبيثين من فعل ابن مراجل وابن وماردة أخيه بعده من إلحادهما غي نحلتهما وأساءتهما لسيرتهما ورغبتهما في رعيتهما وشدة وطأتهما عليهم واستحلالهما دماءهم وأموالهم، ومتذكر تحظور وقت زوال دولتهم وانقطاع مدة سلطانهم وتأذن الله برد دولتنا وسلطان أبائنا الذين نبءات عنهم الكتب أو نطقت بهم الرسل واوجب لهم الإجماع وحازهم إليهم البرهان والذي حضضت عليه من الخروج إليهم وطلب الثأر منه ,ووعدته من نصرتك لنا بما ينصر به الصديق صديقه ومن يعلم هواه فيه ومودته له.

وما أطفت عليه من أمر أبي حفص ومن معه من جالية بلدنا وغلبتهم علي ما غلبوا عليهم من بلدك وخضوعهم لابن ماردة ودخولهم في طاعته وما سالت من أهل لإنكار لذلك والأنفة منه وحكيت من أمراء افريقية وفي نزوعهم عن ابن ماردة وخلافهم عليه واستثقالهم لولته,وكلما حكيت من ذلك وقصصته في كتابك ,فقد قراناه وفهمناه .

وأما ما رغبت من مودتنا وأحببته من مصادقتنا وأردت تجدده وتوصله وتمسك به وتوثقه مما كان عليه أولو كلا ولنا فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك علي موصلتنا وان نتمسك

من ذلك بما كان عليه سلفنا وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ويتحاضون عليه ويحفظه بعض لبعض ويشدون أيديهم به .

وأما ما ذكر من أمر الخليفة مروان بن مُحَمَّد رحمه الله فان الله تعالي أحب أن يكرمه بما انتهك من حرمته ونكث من بيعته ويسوقه إلي رحمته وان يشقي بذلك من ركبه منه ويخزيه ويعذبه عليه.

وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر في تعذبه العباد وظلمه وجرأته علي الله وانتهاكه لمحارمه ,فان الله قد أخذه بذنبه واستدركه ببغيه وصيريه من عذابه ونكال إلى ما لا انقطاع له ولا تخلص منه جزاءا بما اجتح وكذلك حكم الله في أهل معصيته وأوليا لاجتراء والافتراء عليه.

وأما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة وحضضت عليه من الخروج إلي ما قلته وذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة أهله وزوال سلطنهم وما حضر من وقت رجوع دولتنا وعزف من حين ارتجاع سلطاننا فان نرجو في ذلك عادة الله عندنا وسينجز ومعوده إيانا ونمتري حسن بلائه لدينا مما جمع لنا من طاعة قبلنا من أهل شامنا وأندلسنا وأجنادنا وكورنا وثغورنا وما لم نزل نسمع ونعترف إن نقمة تنزل بهم والدارية تحل عليهم من أهل المغرب وعلي أيدنا فيقطع الله دابرهم ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى.

أما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي ومن صار معه من أهل بلدنا في خضوعهم لابن ماردة ودخولهم في طاعته وما سالت من النظر في أمورهم والإنكار لفعلهم فانه لن ينزع إليه منهم إلا سفلتهم وسوادهم وسفقتهم واباقهم وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ونكفيك مؤذنتهم وإنما اضطروا لدخول في طاعة ابن ماردة لما منهم من بلدهم ودنو ناحيتهم من ناحية ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ولا تصعب عن نكايتهم ولا تتوقف عن إخراجهم عما تطرقوه من بلدك وإذ تري مكانهم به من موضعك وان الله بحوله وقوته وفضله ومنته ردا إلينا سلطننا بالمشرق ومكان تحث أيدي أبائنا منه نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك واستقام لطاعتنا وطاعتك وعرفنا الذي يكون من معونتك علي ما دعوت إليه وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه وذو المودة لأهل مودته ولم يضع عندنا ما رأيته من حقنا وقمت فيه من حفضنا.

وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا وكشفناه علي الذي أوصيت به إلينا وان كل ما يجب لصديق إن يعرفه من حال صديقه ووجهنا إليك بكتابنا هذا رسولين من صالح من قبلنا فاكتب إلينا

معهما بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتبت به إلينا والذي يجب عليه من سائر خيرك ومتعة عافيتك لننظر فيما يتصرفان به من عندك علي حسب ما يأتنا به من عندك إن شاء الله.

*المصدر: ابن حيان، المصدر السابق،ص432،435.

ملحق رقم6:

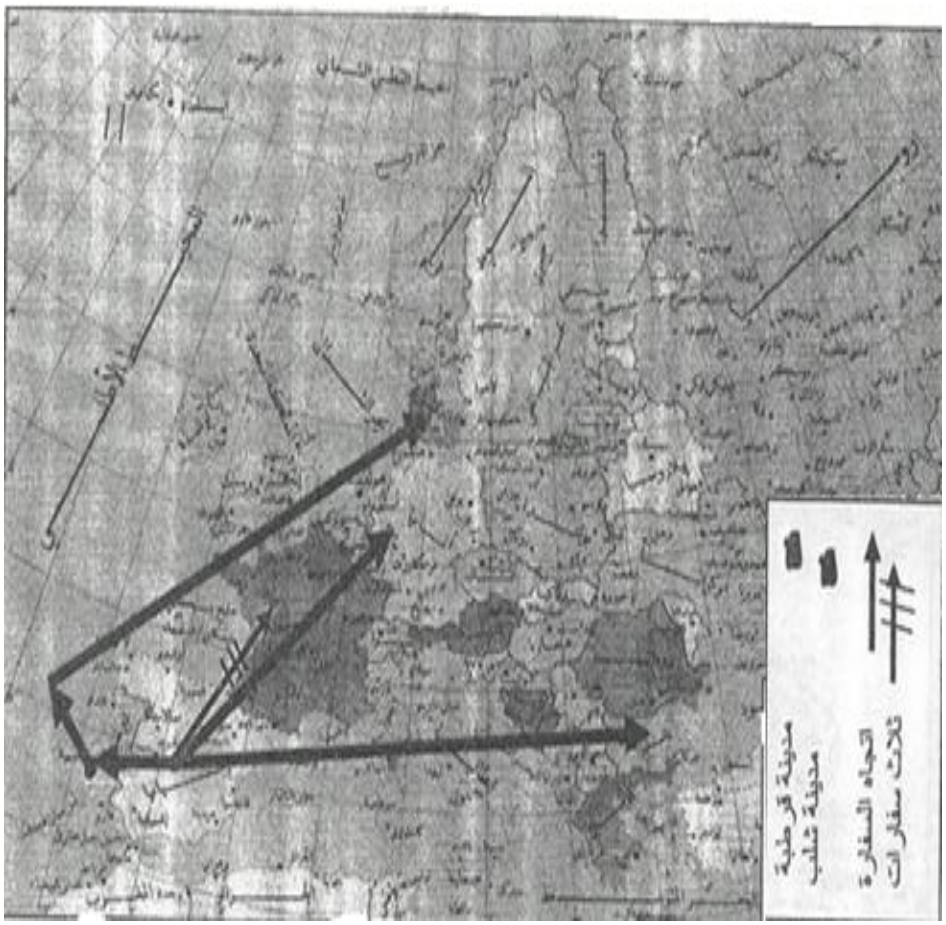
كتاب الأمان والصلح الذي أصدره عبد الرحمان الداخل لجيرانه نصارى قشتالة.

بسم الله الرحمان الرحيم:

"كتاب أمان ورحمة ، وحقن دماء وعصمة، عقده الأمير الأكرم الملك العظيم عبد الرحمان ابن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم،للبطارقة والرهبان، ومن تبعهم من سائر البلدان، أهل قشتالة و أعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحملوه، فاشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة أل فأوقية من الذهب، وعشرة ألاف رطل من الفضة، وعشرة ألاف رأس من خيار الخيل,ومثلها من البغال,مع ذلك ألف درع وألف بيضة ومن الرماح الدر دار مثلها في كل عام، ومتى ثبت عليهم النكث بأسير يأسرانه، أو مسلم يغادرونه، انتكث ما عوهدوا عليه، وكتب لهم هذا الأمان بأيدهم، إلى خمس سنين، أولها صفر عام اثنتين وأربعين ومائة."

المصدر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ص250.

الملحق رقم7: سير اتجاه رحلة يحي الغزال.



المرجع: إبراهيم مُحَمَّد آل مصطفى، المرجع السابق، ص194.

ملحق رقم8:

رسالة الخليفة الناصر لدين الله إلي صفيه المغربي الزعيم المكناسي موسى ابن أبي العافية جاء فيها مايلي:

"وذلك مما شد أمير المؤمنين عزما,وشغل قلبه عليه غيضا وغما,حديث الحادث الجلل والخطب المعضل,النازل في البيت الله الحرام وما كان وما صار إليه من الإغفال لله,والإضاعة لدوره،حتى غشيهم أهل الكفر في محل الآمن،فقتلوهما برح قتل بغناء،وهتك البيت الحرام واستلب ما فيه,وحدث فيه ما لم يعرف في الأولين,ولا يزال في الآخرين،وهو الأمر الفادح الكوارث،الذيل ايحل لأمير المؤمنين ترك الغضب منه,والسعي في الانتصار له والقيام في الذب عليه،والتقرب إلى الله بحماية البيت العتيق,وتعظميه وتهديده من الله،والله على الانتصار منهم معين لغيرنا إن شاء الله.

وقد صرت عن أمير المؤمنين بخالص الوعد،وصادقا لطاعة,معدودا في عدة الذين يعتمد عليهم,وأنصاره الذين يتدارك في المهمات على نهضتهم، فأنتب أخص المنازل عنده في الاستعداد بك,و الرجاء لحمد مقامك,وحسن نظرك فيما يجردك أمير المؤمنين له,وينهضك نحوه ويجعلك قائده،في جميع الغرب قائما باسمه ناهضا بدعوته,معينا على إحياء الدين،وأماته الفاسقين وتغير أثار الضالين، وتقويم زيغ المفسدين،لا يرغب أمير المؤمنين من قبلك,ولا من قبل غيرك,من أولياء الطاعة وأنصار الدولة، ما لا يجتب ولا مرغوبا يقتني، والمدائن يصطفي,بل رغبة أمير المؤمنين فيما صرف همته إليه،ومد طرف نحوه،وشغل قلبه به،من طلب حقه وارتجاء ميراثه,والسعي لملك أبائه الخلفاء،همه افريقية فما دانها والحرم وما أنتصل به،ومصر والشام وما خلفها,فيرد الله بهالدولة،ويكشف الجولة،ويحي الآثار السالفة الفصل، ويعيد الدين على يديه جديدا غضا, والحق مما حقا,ويجعل كل ذي بدعة طريدا.مقضي ينهض بأمير المؤمنين إلى ذلك من الآثار المشهورة،والروايات المذكورة, التي قد ظهر كثيرا منها, وعلى الله بتميم باقيها إن شاءالله،فقد اخذ أمير المؤمنين لذلك،بأشدّ العزم،وأثبت الخطر برا وبحرا عاملا على المجاهدة

الملحدين,ومنازلة الفاسقين حتى ينتقم الله من الظالمين,ويأخذ بثأره من القوم المجرمين إن شاء الله. فانهض أيدك بعزائم أمرك, ونوافذ رأيك،وشدة باسكو صيال رجالك،وتقدم متوسعا فيما بين يديك،ولا يقنعك ما أنت بياض،فليس يقنع به أمير المؤمنين للإبل يستغل لك الكثير,وسعي في جانبك الخطير بكل ما توسعت فيه,وفتح الله عليك به كان ولولدك' ولعقبك إقطاعا من أمير المؤمنين،وتوسعا عليك ومكافأة لمحبتك،لا تنبت لك ولا لأحد من ولدك وعقبك عند أمير المؤمنين حال، إلّا بأحسن منها وأشرف وأفضل وأعلى وأنبل،تلك بصيرة أمير المؤمنين في أوليائه في طاعته،القائمين بإمامته المجاهدين لعدوه،الموطدين لسلطانه، أسالف الناس على طلعة أمير المؤمنين وجامعهم عليها،ودعاهم إليها ورغبهم فيها، فان طاعته مقرونة يرضى الله تعالي، إذ هو القائم بالحق الناصر لدين الله،المحتمل على هدي الخلفاء الراشدين النافي كل بدعة، الماحي للضلالة، المجلي لكل شبهة، بتابعه هدي وطاعته ﷺ،لا يصدق عنه ولا يحيد عنه إلّا من فارق الحق، وخالف طريقه واثر الباطل ودخل طريقه".

المرجع: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ص288-289.

الملحق رقم9:

رسالة من إبراهيم وأبي العيش، ابن إدريس الحسنين إلى الناصر لدين الله.

كتبناه إلي سيدنا أمير المؤمنين، مما نحن عليه من موالاته ولا محاض وسلامة الضمائر، من كل شبهة أو مزق في الإخلاص له، ونحمد نعمته معرفة بحق أمير المؤمنين،وانقياد لا مهامته واعتلاقا بحبله، بما اظهر الله من دولته وأثار من إمامته، علي حين مدها مغربنا،أطال الله بقاءه، فهذه الشيعة الرافضة الفادحة في الشريعة المحدقة لسنة الرسول ﷺ افتراء منهم على الله تعالي وعلى نبيه صلي الله عليه وسلم وعلي أهل بيته (الحسينيين) وابتلي الله عباده،بهم ليعلم من يطيعه منهم وأملياهم، يزدادوا إثما، فاستعجل شرهم، وان إلى ما جرت مقادير الله به،من ظهورهم علي موسي بن أبي العافية، ولي أمير المؤمنين, وقلعهم له قوادهم (الله) هؤلاء أو طويلا,واستطالة علي المسلمين بما يهيأ لهم، وما كان من انكشافه عنهم،ونجاته إلى الرمال والصحاري فرارا منهم, فعظم البلاء عنده، وجل الخطب والله تعالى عواقب الأمور،ومنه مبدأها لا معقب لحكمه في شيء منها,وبلغنا انه نمي إلى سيدي أمير المؤمنين عنا،أنا توجهنا إلي الفاسق ميسور لا يسر الله أمره,على أسوا الوجوه، ولم يكن ذالك أكرم الله سيدنا أمير المؤمنين إلا عن تقيه منه، ومع ومن له ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله صلي الله عليه وسلم ،فقد دار صفوان بن أمية الجمحي وغيره من المشركين والمنافقين ،حتى اظهر الله دينه واغلي ذكر نبيه صلي الله عليه وسلم ، فلا يرتب أمير المؤمنين بطويتنا ,وليجرد عزمه في معونتنا ،فانه مني فصل رأيه، أيده الله بإخراج عسكره ، يناهض بنا هذا اللعين ,الذي قد عاث في أرضنا وأي بالعظائم التي لا يحلل أمير المؤمنين تركته يبادرنا إلى قائده ابن حزب الله (صاحب سبة) بالرهائن كل من ضوى إلينا من البربر,حتى يقتنع بالتوثقة ،ويبلغ الغاية فإذا اجتمعنا مع الجيش المخرج إلينا، رجونا إلا يلبث لنا عدونا إن شاء الله عز وجل.

المرجع: عبد العزيز فيلالي، ص293.

البيبليوغرافيا

أ/ المصادر:

* القرآن الكريم.

1*ابن الأبار أبو مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضائي (ت635هـ/1238م)، **الحلة السراء**، تح:حسين مؤنس، ط2، ج 1،2 ، دار المعارف، القاهرة،1985. ***التكملة لكتاب الصلة**، تح:عبد السلام هراس،(دط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.

2*ابن الأثير أبو حسن علي ابن أبي الكرم مُحَمَّد ابن عبد الكريم ابن عبد الحامد(ت630هـ/1232م)،**الكامل في التاريخ**، تص: مُحَمَّد يوسف الدقاق، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، 1987م.

3*الإدريسي أبو عبد الله مُحَمَّد ابن عبد الله (ت548هـ/1145م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج1، (دط)، مكتب الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

4*ابن الأزرق أبو عبد الله(ت896هـ/1490م)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تح: علي سامي النشار،ج2، ط1، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة،2007م.

5*الأنطاكي ابن يحي ابن سعيد (458هـ/1067م)، **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا**، تدمير عمر عبد السلام تدمري جروس برس، طرابلس-لبنان، 1990م.

6*ابن أبي زرع أبو العباس أحمد ابن زرع(تفي النصف الأول من ق7هـ/14م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، (دط)، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

7*أبي زكريا يحي ابن أبي بكر،**سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي،ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 1982م3.

8*ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد ابن قاسم(ت668هـ/1270م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: عامر النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1999م.

9*ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني (ت524هـ/1147م)،**الذخيرة السنية في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، قسم4، مج1، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1979م.

10*البكري أبو عبد الله(ت487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب** وهو جزء مأخوذ من كتاب المسالك والممالك،(دط)، مكتبة المثنى، بغداد،(دت).و ج2،تح:جمال طلبه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2003م.

11*البلاذري أبو الحسن أحمد ابن يحي(ت279هـ/892م) ، **فتوح البلدان**.

12*الثعالبي أبي منصور عبد الملك(ت429هـ/1038م)،**يتيمة الدهر في محاسن أهل العص**ر، تح: مفيد مُحَمَّد قمحة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، 1983م.

13*ابن ثغري بردي أبو الحسن يوسف(ت874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، (دط)، وزارة الثقافة، مصر، 1963م.

14*ابن جلجل أبي داوود سليمان ابن حسان الأندلسي(ت384هـ/944م)، **طبقات الأطباء و الحكماء**، تح: فؤاد السيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

15*ابن حزم أبي مُحَمَّد علي ابن أحمد ابن سعيد(ت456هـ/1063م)،**جمهرة أنساب العرب**، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر،1948م.

16*الحميدي عبد الله مُحَمَّد ابن فتوح(ت488هـ/1095م)،**جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح :بشار عواد مُحَمَّد بخار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2000م

17*الحميري أبو عبد الله مُحَمَّد ابن عبد الله ابن عبد المنعم(ت في منتصف القرن الخامس هجري)، **صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض** المعطار في خبر الأقطار، تص: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت(لبنان)، 1983م.

18*ابن حوقل أبو القاسم مُحَمَّد ابن علي الموصلي البغدادي،**صورة الأرض**، (دط)، دار مكتب الحياة، بيروت (لبنان)، 1992م.

19*ابن حيان أبي مروان (ت469هـ/1076م)، **المقتبس في أخبار بلاد الأندلس**، تح: محمود علي مكي، **القطعة الأولى**،(دط)،دار الثقافة، بيروت، 1965م. **القطعة الثانية**، ط1،المركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003م.

20*ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله مُحَمَّد (ت776هـ/1374م)، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق ذلك من الكلام**،ج2، تح: سيد كسروي حسن،ج2

، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان)، (دت). ج3، تح: أحمد مختار العبادي، مُحَّد إبراهيم الكتاني، دار البيضاء، 1964م.

21*ابن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/1405م)،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،ج6،4،2، دار الفكر العربي، بيروت(لبنان)، 2000م.

22*ابن خلكان أبو العباس شمس الدين مُحَّد ابن أبي بكر(ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، مج5، (دط)، دار صادر، بيروت، 1977م.

23*ابن دحية الحافظ مجد الدين أبو الخطاب عمر ابن الحسن(ت633هـ/1236م)،المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد أحمد بدوي ،القاهرة، 1954م.

24*الدرجيني،أبو العباس أحمد(ت حوالي670هـ/1271م)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم الطلابي،(دط)، (دد)، (دب)، 1971م.

25*الذهبي شمس الدين مُحَّد ابن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، تح: عزيز حمدان، ج8 ،ط،11مؤسسالرسالة ،بيروت(لبنان) ،1996م. ***العبر في خبر من غبر**، تح: أبو هاجر مُحَّد السعيد، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت).

26*السرخسي شمس الدين(ت483هـ/1154م)، **المبسوط**، ج10، (دط)، دار المعرفة، بيروت، 1989م.

27*ابن سعيد أبو الحسن علي(586هـ/1286م)،**المغرب في حلي المغرب**،تح:ضيف شوقي،ط3،دار المعارف،القاهرة،1964 م.

28*السلاوي أحمد ابن خالد،**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، (دط)، (دد)،(دب)، (دت).

29*الشماخي أحمد ابن سعيد عبد الواحد،**كتاب السير**.تح: أحمد ابن مسعود السياسي، ج1،(دط)،(دد)،(دب)،(دت).

30*الضبي أحمد ابن يحي(ت599هـ/1202م)،**بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.

31*ابن عبد ربه أحمد بن أحمد(ت695هـ/1295م)،**العقد الفريد**، تح: عبد المجيد الترجيني،ج5، ط1، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ، 1983 م.

32*ابن عذارى أبو العباس احمد(ت695هـ/1261م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح: ج.س.كولان، لفي بروفنسال،ط2، دار الثقافة، بيروت،1980م.

33* العذري أحمد ابن عمر ابن أنس(ت487هـ/1085م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،(دت).

34*ابن فارس أبو الحسين أحمد ابن زكريا(ت 395هـ/1004م)،**معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، مج 3، (دط)، دار الفكر للنشر والطباعة، (دب)، (دت).

35*ابن الفراء أبو علي الحسين بن مُحَّد(ت455هـ/1065م)، **رسل الملوك وما يصلح للرسالة والسفارة**، تح: صلاح الدين المنجد ، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت (لبنان)، 1972م.

36*ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله(ت403هـ/1012م)، **تاريخ علماء الأندلس**، تح: بشار عواد معروف، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس 2008م.

37*الفيروز آبادي مجد الدين مُحَّد ابن يعقوب(ت821هـ/1311م)،**القاموس المحيط**، تح: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، 2005م.

38*ابن قتيبة مُحَّد عبد الله ابن مسلم،**المعارف**، تح: ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

39*القلقشندي أبو العباس أحمد(ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في كتابه الإنشا**، ج5، (دط)، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م.

40*ابن كثير أبو الفداء إسماعيل،**تفسير القرآن الكريم**، ج3، ط1، دار الفكر، بيروت (لبنان)، 2002م.

41*ابن كردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري (ت821هـ/1418م)، **تاريخ الأندلس لابن كردبوس ووصفه لابن شباط**، تح أحمد مختار لعبادي، (دط)، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

42*الماوردي أبي الحسن علي ابن مُحَمَّد ابن حبيب(ت450هـ/1057م)، **نصيحة الملوك**، تح الشيخ خضر مُحَمَّد خضر، ط1، مكتبة الفلاح، (دب)، 1983م. ***الأحكام السلطانية والولايات الدينية**،تح:احمد مبارك البغدادي،ط1،مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت،1989..

43*مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم**، تح: إبراهيم الأبياري،مج1،ط2، دار الكتب المصري، القاهرة، ، 1969م.

44*مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح :عبد الحميد سعد زغلول، دار النشر المغربي، الدار البيضاء، 1985م.

45*المراكشي أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الملك(ت703هـ/1303م)،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس ومُحَمَّد ابن شريفة،بشار عواد معروف،ط1،دار الغرب الإسلامي،2012م.

46*المراكشي عبد الواحد ابن علي(توفي في النصف الأول من القرن 7هـ/13م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: مُحَمَّد سعيد العرياني،(دد)، القاهرة، 1963م.

47*المقرّي شهاب الدين أحمد ابن مُحَمَّد(ت1014م-1632م)، **نفح الطيب من الغصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، (دط)، تح: إحسان عباس،ج1،2 ، دار صادر، بيروت، 1968م.

***أزهار الرياض في أخبار عياض**،صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات المتحدة ، القاهرة،1939م.

48* المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد ابن علي(ت846هـ/1441م)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة، تح: جمال الدين الشيال،ج1،ط2، المجلس الأعلى للشؤون، القاهرة، 1995م.

49*ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ابن كرم المصري(ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، مج4، (دط)، دار صادر،بيروت، (دت).

ب/ المراجع:

1*ابـــن إبـــراهيم أبا الخيـــل مُحَّد:الأنـــدلس في الربـــع الأخـــير مـــن القـــرن الثالـــث هجري(280هـ300هـ/888م-912م)، ط1، مكتبة الملك، الرياض، 1995م.

*أبو خليل شوقي، أطلس تاريخ الإسلامي،ط5،دار الفكر، دمشق،2001م.

*احمد عطية الله، القاموس السياسي،ط4،دار النهضة العربية، القاهرة،1980م.

2*أرسلان شكيب: *تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر الأبيض المتوسط، (دط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1352م.

3*إسماعيل عبد الرزاق محمود:الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء(المغرب)، 1985م.

4*إسماعيل محمود: الأدارسة حقائق جديدة، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1971م.

5*بيضون إبراهيم:الدولة العربية في إسبانيا، ط3، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

6*التازي عبد الهادي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب، من أقدم العصور إلى اليوم، مج3، (دط)، (دد)، (دب)، (دت).

7*التليسي بشير رمضان:الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003م.

8*جودت عبد الكريم:علاقات الدولة الرستمية،(دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

9*الحجي عبد الرحمان علي:التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92هـ-897هـ/711م-1492م)، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م.*العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع هجري، (دط)، المجمع الثقافي، أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)، 2003م.

10*الحريري مُحَّد عيسى:الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم، الكويت، 1987م.

11* **حمادة مُحَمَّد ماهر**:مجوعة الوثائق السياسية والإدارية في شمالي الأندلس وشمالي إفريقيا (64هـ-897هـ/683م-1492م) دراسة ونصوص، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

12*الحايك سيمون:عبد الرحمان الأوسط،(دط)، المطبعة البولينية، لبنان، (دت).

13*حسن إبراهيم حسن:المعز لدين الله أمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر، (دط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م.

14*حسين مؤنس:معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط2، دار الرشاد القاهرة، 1992م.

15*حميد الله مُحَمَّد:مجوعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرشيدة،ط5،دار النفائس، بيروت،1975م.

16*حومد أسعد:محنة العرب في الأندلس،ط2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1988م.

17*رجب مُحَمَّد عبد الحليم :العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، (دط)، دار الكتب الإسلامية، بيروت، (دت).

18*الرحيلي سليمان**:السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية سفارات الدولة العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس، (دط)، مكتبة التوبة، الرياض، 1444هـ.

19*سالم عبد العزيز:تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة،(دط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

20*سوادي عبد مُحَمَّد، صالح عمار الحاج:دراسات في التاريخ الإسلامي، ط1، المكتب المصري، القاهرة، 2004م

21*السامرائي خليل إبراهيم وذنون طه عبد الواحد، مطلوب ناطق صالح:تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

22*السامرائي شفيق عبد الرزاق**:الدبلوماسية، ط1، المؤسسة الجامعية المفتوحة، طرابلس، 2002م.

23* **طقوش مُحَمَّد سهيل**:تاريخ المسلمين في الأندلس، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2010م.

24*العبادي أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، (دط)، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، (دت).

25*العدوي إبراهيم أحمد:السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العهود الوسطى،(دط)، دار المعارف، مصر، 1975م.

26*الميلي مبارك: تاريخ الجزائر الحديث والقديم، تص وتح: مُحَمَّد الميلي، المؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، (دت).

27*عباس إحسان:تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1969م.

28*عبد الرؤوف عصام الدين:تاريخ المغرب والأندلس، (دط)، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1954م.

29*عبد الفتاح هدي السيد مُحَمَّد:معجم مصطلحات الحرف والفنون، ط1،دار المعرفة، بيروت،1989م.

30*عنان مُحَمَّد عبد الله:دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ط3، القسم الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م. *مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط5، ورشة المؤلف، القاهرة، 1997م.

*فجر الأندلس، د1، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، 2003م.

*في التاريخ العباسي والأندلسي، (دط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.

31*فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية للدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م.

32*كردي مُحَمَّد علي:غابر الأندلس وحاضرها، (دط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

33*مُحَمَّد آل مصطفى إبراهيم:سفارات الأندلس إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية (138هـ-422هـ/755م-1031م)،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2013م.

34*مصطفى مسعد سامية:العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300هـ-399هـ/912م-1008م)،(دط)، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (دب)، (دت).

35*نعني عبد المجيد:تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي،(دط)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

ج/المراجع الأجنبية المترجمة:

1*ج.س كولان:الأندلس لجنة ترجمة المعارف الإسلامية، تر: إبراهيم فورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط1، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1980م.

2*ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية (711هـ/1031م)،تر: علي عبد الرؤوف، علي إبراهيم منوفي والسيد عبد الله الظاهر، (دط)، المجلس الأعلى للثقافة،(دب)، 2000م.

3*دوزي رينهرت:المسلمون في الأندلس، تر وتع: حسن الحبشي،ج2، (دط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دب)، 1994م.

4*ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح حتى سقوط الخلافة القرطبية (711هـ/1031م)،تر: علي عبد الرؤوف، علي إبراهيم منوفي والسيد عبد الله الظاهر، (دط)، المجلس الأعلى للثقافة،(دب)، 2000م.

5*مُحَمَّد الطالبي:الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184هـ-296هـ/800م-909م)، تع: المنجي الصيادي، مر وتد: حمادي السائلي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

د/ الأطروحات والرسائل الجامعية:

1* بومبرز إيمان، لقرع وردة رزاق: دور السفارات في ظل التحولات الراهنة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، مذكرة كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، حسين بهاز، جامعة قصدي الحاج، (2012م-2013م/1433هـ-1434م).

2*جميل أحمد جميل: أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، شهادة مقدمة لنيل شهادة الماجستار في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا،جميل حشاش، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،(2008م-2009م/10هـ-12هـ).

3*ابن حاج ميلود:الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمان الثاني (206هـ/822م).مذكرة لنيل شهادة الماجستير، سامية أبو عمران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008م.

4* **الحلبي إسماعيل:** عوامل سقوط الأندلس (92هـ-711هـ/897م-1492م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ ، عبد العزيز خالدي، قسم التاريخ بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، غزة(فلسطين)، 2015م.

5*حميدية أمينة، مليكة عليان: السفراء والدبلوماسيون في التاريخ الإسلامي ما بين القرنين الرابع والسادس هجري (10م-12م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في العصر الوسيط، مالكي فاطمة الزهراء، جامعة يحي فارس، المدية، (2015م-2016م/1436هـ-1437هـ).

6* **سالم عطية آمال:** السفارات في المغرب خلال القرنين السابع والثامن هجريين (ق13م/14م)، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه،عبيد بوداود، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،جامعة مصطفى أسطمبولي، معسكر، (2015م-2016م/1436هـ-1437هـ).

7* عنان عبد الرحمان:السفارة ودورها في تدعيم العلاقات الدولية، شهادة مقدمة لنيل شهادة الماجستار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، عبد المجيد بوكركب، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (2008م-2009م/1429هـ/1430هـ).

8*علي الحجي عبد الرحمان: العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية(130هـ-366هـ/755م-970م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، دنلوب ،كيمبرج، جامعة كيمبرج، إنجلترا، 1996م.

9* **مجدي خليل مُحَمَّد البردويل:** الإبداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة (138هـ-422هـ/755م-1030م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، خالد يونس الخالدي،(2014م-2015م/1435هـ-1436هـ).

هـ/ المجلات:

1*جاسم لطيف جاسم ، **علاقة الأمير الداخل بدولتي الفرنجة والدولة العباسية(138هـ-172هـ/756م-788م)**، مجلة جامعة تكوين للعلوم الإنسانية، مج17، ع9،تشرين الأول، 2010م.

2*حسن نجم منصور زينب، المعموري مُحَمَّد عبد الله: **الهبات والهدايا في عصر الخلافة في الأندلس(300هـ-433هـ/913م-1009م)**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، كلية العلوم الإنسانية، مج34، ع2، حزيران 2008م.

3*مفلح شريف: **رحلات يحي الغزال الأندلسي- المضامين والأهمية التاريخية**، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، ع66، يناير 1997م.

4*ابن يحي أم كلثوم، **العلاقات الخارجية بين المغرب الأوسط والأندلس في عهد الرستميين**، مجلة الدراسات، جامعة طاهري مُحَمَّد بشار، ع6، ديسمبر 2014م.

الفهرس

الصفحة

فهرس الموضوعات.

–مقدمة..... 7-1

- لمحة تاريخية عن الدولة الأموية بالأندلس

1_ أصل التسمية..... 10-9

2_ الموقع الجغرافي..... 12-10

3_العهود التي مرّت بها الدولة الأموية بالأندلس..... 18-12

أ/ عهد الفتح..... 13-12

ب/ عهد الولاّة..... 14-13

ج/ عصر الإمارة..... 16-14

د/عصر الخلافة..... 18-16

-السفارة قراءة في المفهوم

1_ تعريف السفارة.....

2_ مفهوم السفير..... 21-20

3_ مشروعية السفارة..... 22-21

– مفاهيم حول السفارة 24-22

1_مفهوم الرسول... 25-24

2_مفهوم الوفد..... 25

3_مفهوم البعثة..... 26

4_ديوان الرسائل..... 27-26

- مفهوم السفارة من خلال كتب السياسة والأحكام السلطانية

1_ الماوردي..... 28-27

2 _ابن الفراء..... 30-29

3_ابن الأزرق..... 31-30

– معاملة الرسل والسفراء

1_ استقبال السفراء والرسل..... 32-31
2_ أوراق الاعتماد والطريق. 34-33
3 _ عقد الأمان..... 36-34

- السفارات بالأندلس في عصر الإمارة الأموية.

السفارات بين الإمارة الأمويون ودويلات العالم الإسلامي.

1_دولة الأدارسة..... 39-38
2_ دولة بني مدرار..... 40
3_ دولة الأغالبة 42-41
4_دولة الرستميين..... 46-42

السفارات بين الإمارة الأموية ودويلات العالم المسيحي.

1_بيزنطا..... 52-46
2_ فرنسا..... 53-52
3_إسبانيا النصرانية..... 56-53
4_ النورمان.....56 -62

– السفارات بالأندلس عصر الخلافة الأموية (السفارات بين الخلافة الأموية ودويلات العالم الإسلامي).

1_ الأدارسة.....63-66
2_برغواطة 66-67
3_الفاطميين.....67-71

–السفارات بين الإمارة الأموية والمشرق الإسلامي.

1_مصر.....71-73

– السفارات بين الخلافة الأموية ودويلات العالم المسيحي.

1_ بيزنطا.....73-81
2_ فرنسا 82

3_ ألمانيا.....82 -85
4_ إسبانيا.....85-94
-**الخاتمة** 95-96
– **الملاحق**.....96-109
_ **قائمة البيبليوغرافيا**.....111-121
_**الفهرس**.....123-124